(الفصل الرابع)

"الآداب والفنـون"

ويشتمل علـي:

أولا: الأدب:

أ ـ الشعر:

١ـ الشعر الدنيوي (مدح ـ هجاء ـ رثاء ـ شعر غنائي ـ قصائد ساخرة ـ حكم ـ شعر رومانسي ـ شعر اجتماعي ـ شعر سياسي).

٢ـ الشعر الكنسي.

ب ـ النـثر:

(الرسائل ـ سير القديسين ـ تيبكا الأديرة الخطب)

ثانياً: الفنون:

(العمـارة ـ الزخرفة ـ الرسم ـ التصوير ـ الموسيقى)

(الفصل الرابع)

"الآداب والفنون"

أولاً: الأدب :

كانت القسطنطينية دائما مركزاً للأدب وكتبت أفضل المقتطفات الأدبية في القصر الملكي في نهاية القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري بعد ما انتهت أزمنة العقم الأدبي التي دامت زمنا طويلاً وكانت أشدها في الفترة الواقعة من ٦٠٠ إلى ٧٥٠ م[٦٢٤] لانشغال الإمبراطورية بالصراع مع العرب والسلاف والبلغار فأنصرف الناس من العلم إلى السيف، وفي عصر الصراع على الأيقونات في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين/ الثاني والثالث الهجريين.

غلب الطابع الديني على الأدب البيزنطي الذي استوحي أفكاره من الأدب الكلاسيكي، ولكن في القرن العاشر الميلادي/ الربع الهجري بدأ الأدب يدخل مرحلة جديدة وشهد غزارة في الإنتاج بعد الندرة التي تعرض لها حتى النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري[٦٢٥]. وأزدهر الأدب بنوعية شعراً ونثرا.

الشعر:

الشعر كما عبر عنه أفلاطون هو لغة توضح غموض الأشياء.

وقد نظم الشعراء في العصر المقدوني العديد من القصائد في مختلف الموضوعات ويمكن تصنيف الشعر البيزنطي إلى شعر دنيوي وآخر كنسي على أساس مستوي اللغة المستخدمة سواء كانت فصحي أو عامية أو شائعة [٦٢٦].

---

(624) Simos.The value of Byzantine and modern Greek. p. 6

أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٤

(625) Markopoulos Byzantine. 183.

زبيدة عطا، الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى انستاسيس القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٧م، ص ٣٤.

وقد أمر المجمع المكسوني السابع بالقضاء على الأدب اللاأيقوني وقرر في البند الثامن بضرورة تقديم جميع المسرحيات التافهة والكتابات الرديئة التي كتبت ضد الصور المقدسة إلى أسقف القسطنطينة ومن سيقوم بإخفائها سوف يتعرض للعقاب

أنظر عفاف صبر، الإمبراطوريتان ص ٢٧٢، ص ٢٧٣.

(626) Browning, Hellenism in the Byzantine world p.123

طارق منصور، قطوف الفكر، ج١، ص ٣٣.

وأتسم الشعر العلماني بنشاط كبير في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري[٦٢٧] ، وتنوعت موضوعاته ما بين مدح وهجاء ورثاء وقصائد ساخرة وسياسة وغيرها.

وأبرز الأمثلة على شعر المديح تلك القصائد التي نظمت بحق الأباطرة مثل تلك التي نظمها الشاعر يوحنا جيوميتريس John Geomatresفي مديح الإمبراطور نقفور فوقاس[٦٢٨].

وقصيدة الشاعر ثيودوسيوس الشماس Theodosis the Deacon في مدح انتصار فوقاس واستيلائه على كريت [٦٢٩]، هذا بالإضافة إلى القصائد التي قيلت في مدح نساء الأباطرة مثل قصيدة بسللوس في مديح زوجة الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس الإمبراطوره ماريا الانية Maria of Alania [٦٣٠].

وعلى الرغم من تعدد خطب المدح التي نظمها بسللوس إلا أن بعض المؤرخين يرى أنها أضعف ما كتب[٦٣١]

بالإضافة إلى ذلك وجدت قصائد مدح في أصحاب المناصب العليا، مثل القصيدة التي نظمها كريستوفر المليتي، ومدح فيها مدير مدرسة القديس ثيودور سفوراكيوس Saint, Theodore de sphorakios[٦٣٢].

وهناك نوع آخر من الشعر هو شعر الهجاء الذي ظهر في قصائد بسللوس عندما هاجم عادات الثمل [السكر] لدى الرهبان[٦٣٣] كذلك القصيدة التي نظمها يوحنا جيوميتريس ووجه فيها النقد اللاذع ليوحنا تزيمسكس لقتله للإمبراطور نقفور فوقاس، وكما وجدت قصائد مدح في شأن المتميزين في الدولة وجدت أيضا قصائد هجاء بحق من استغلوا مناصبهم لتحقيق منافع شخصية، وكان من بينهم مدير مدرسة

---

(627) Krumcher, the History of Byzantine Literature p. 70
(628) Cameron, The Byzantines, p. 134.
(629) Krumbacher, The History of Byzantine literature. P.70.
(630) Baynes, Byzantium, p. 250.
ماريا الانية: نسبه إلى قبلية الآن Alanهي قبيلة بربرية هاجرت في القرن الرابع الميلادي من جنوب روسيا وعبرت الراين The Rhine وهاجموا مدن في غالة Gaul قبل وصولهم إلى اسبانيا وبعد ذبح مليكهم خدموا في أنحاء الإمبراطورية البيزنطية.
للمزيد أنظر: Rosser, Historical dictionary p.11
(631) Dennis, A Rhetorician practices law p.190.
see Hunger, H Die hochs prachiche profane literature de Byzantine, 2 vols, munich, 1978.
(632) Lemerle le government p239-240.
(633) Baynes, Byzantium, p. 250.

شلكوبرايتا Chalkoprateia الذي هجاه كريستوفر المليتي لإستغلالة للتلاميذ لحصوله منهم على أموال طائلة[٦٣٤].

فقالوا اهربوا اهربوا من هنا بأقصى سرعة..... لا يقترب أحد من هذه المدرسة ميداس Midas عاد من جديد، ويدير المدرسة، هذا هو ما في الأمر..... إهربوا إهربوا جميعا حتى لا تتحولوا إلى ذهب يقوم بالاستيلاء عليه ميداس الجشع... هو هنا الآن يمد يديه ليبيع العلم للتلاميذ بثمن الذهب، يقول لأحدهم أعطينا نقود وللآخر أعطينا أكثر.

واستخدم بسللوس عبارات التشبيه حينما شبه مدير المدرسة ب ميداس، وهذا نوع من أنواع القواعد البلاغية ولكن نلاحظ أ ن القصيدة لم تلتزم بقافيه أو أوزان شعرية، وبدأت كأنها قطعة نثرية، وليست شعرية مما يوضح أن الشعر البيزنطي لم يلتزم بالتفاصيل أ و الأوزان المعروفة[٦٣٥].

وفي الحقيقة أن كلا النوعين السابقتين من الشعر (المدح . الهجاء) لا يتسم بالصدق أو يعبر عن الواقع في أحيان كثيرة بل ربما يكون مدفوعا بأهداف سياسية أو رغبة في تحقيق مصالح شخصية، ولكن الأقرب إلى الواقع هو شعر الرثاء لأنه يعبر عن مشاعر حقيقة لن يحصل من وراءها المؤلف على أي منفعة ذاتية، ويعتبر شعرا لرثاء من أجمل ما ألف في فنون الأدب البيزنطي في العصر المقدوني، وقد اصطلح على تسميته بالقصائد الجنائزية، حيث يحتفظ متحف مدريد بأسبانيا بمجموعة لا بأس بها من أشعار نقلت من على شواهد القبور البيزنطية سواء لبعض الأباطرة أو بعض أفراد الشعب، ومن بينها قصيدة تتناول وفاة الإمبراطور ليو السادس ٩١٢م/ ٣٠٠ هـ ووفاة الإمبراطور قسطنطين السابع ٩٥٩م/ ٣٤٨ هـ كما القي اريثاس مرثية كان موضوعها فضائل البطريرك ايثميوس Ethemos في حفل تأبينه في دير بساماثيا[٦٣٦].

---

(634) Lemerle, le Gouverment, p. 227.

عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص٦٥.

(635) Lemerle le government p227.

ميداس: ملك أسطوري اتصف بالجشع

See Lemerle, Le Gouvernment, p. 227.

(٦٣٦) وسام، بيزطه، ص ١٢٨، حاشيه (١٤٩).

نجلاء شيحه، مدينة القسطنطينية ص ١٧٥.

ايثميوس: ولد حوالي ٨٣٢م / ٢١٧ هـ في سلوقيه Selcucia بإقليم ايسوريا Isauria بجنوب شرق آسيا الصغرى، وكان يمت بصله قرابة للقديس جوبجوري ديكابوليت Gregory Decapolite بدأ حياته راهبا في أحد أديرة بيثنا ثم عرف طريقه إلى

وترك لنا سيمون ميتافراتس Symeon Metaphrastes مرثيه بشأن ليو السادس وثلاث مرثيات عن كريستوفر الابن الأكبر لرومانوس ليكابينوس، وإن كان هناك شك في نسبة هذه القصائد إلى سيمون، الا أن بعض الباحثين قارن بين تاريخ هذه المرثيات التي ترجع الأولى منها إلى وقت قصير قبل عام ٩١٣م/ ٣٠١ هـ والأخرى إلى قبيل عام ٩٤٤م/ ٣٣٣ هـ وبين نشاط سيمون ميتافراتس الذي كان بارزا في هذه الفترة، الأمر الذي قوى إحتمال أن يكون هو ناظم هذه القصائد(٦٣٧)

ونظم بسللوس سبع مراثي من بينها واحدة لأمة ثيودوت Theodote تكشف عن مدى حبه وامتنانه لما قدمته له حتى يكمل دراسته(٦٣٨) وقدم فيها صورة لزوجة وأم مثالية ووصف في المرثية فترة طفولته التي أمضاها تحت إشراف أمه وتوجيهها (٦٣٩) كما ألقى بسللوس خطبا جنائزية في حق البطاركة المشهورين في عصره مثل ميخائيل كريولاريوس Micheal cerularios الذي رثاه بمرثية وضعت على قبره، وكانت مليئة بالمدح للبطريرك(٦٤٠) .

وإن كان هذا يتعارض مع الإتهام الذي وجهه للبطريرك بتأثير من الإمبراطور اسحق الأول كومنيين ١٠٥٦-١٠٥٩/٤٤٨-٤٥١هـ لم يقم بتسليمه للبطريرك، الذي توفي قبل موعد مثوله أمام المجلس الكنسي(٦٤١).

العاصمة، وجذبت تقواهه وفضائله الإمبراطور ليو السادس، فعينه في منصب ستكلز Sncellos وأصبح بطريركا باعتراف الإمبراطور وكان بمثابة الأب الروحي له

See Tougher, The Reign of Leo VI, P.8.

وسام فرج، بيزنطة، ص١٢٨ هامش (١٤٩).

(637) Symeon metaphrastes, Rewriting and civilization p.79.

(638) Psellus, chronographia. p. 15

رأفت عبد الحميد، بيزنطه، ص ١٧٢ هامش (17)

للمزيد أنظر:

Criscuolo, u. Michael psello Autobiografia Encomio per la moder Naples, 1989

(٦٣٩) عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص ١٥٤.

(640) Dennis, A Rhetorician practices law p.189
Baynes Byzantium.p.237

(641) Psellus chronographia, p.14.
Dennis, Michaelis pselli orations pp. 53 – 55
Dennis, A Rhetorician pp190 – 192.

ويمكن التوفيق بين الموقفين المتناقضين بأن بسللوس كان منقادا لأوامر الإمبراطور اسحق كومنيين أثناء كتابة الاتهام، أما المرثية فكانت بعد وفاة الإمبراطور.

ويرجح هذا الاحتمال إذا علمنا أن وفاة الإمبراطور كانت عام ١٠٥٩ م/ ٤٥١ هـ وأن بسللوس كتب المرثية بعد أربع سنوات من الاتهام أي حوالي عام ١٠٦٣ م/ ٤٥٦ هـ[٦٤٢].

كما نظم بسللوس مرثية أخرى لزميله نكيتاس الذي كان يعمل مدرساً في مدرسة القديس بطرس[٦٤٣] وأخرى بحق قسطنطين ليخوديس ويوحنا اكسفلينوس[٦٤٤] وكتب مرثية في وفاة ابنته الصغيرة ستيلياني التي وافتها المنية، وهي في الثامنة من عمرها، وذكر في هذه المرثية أنها منذ ولادتها كانت محاطة بالمربيات اللاتي كنا يمنحنها الرعاية اللازمة للأطفال الرضع[٦٤٥] وأنها نشأت وحولها عدد كبير من الخدم وكانت تلعب مع بعض الخادمات وحول سرير موتها وقف أبويها وأصدقائها وأقربائها إلى جانب العديد من العبيد رجالا ونساء وخدماً وأحراراً[٦٤٦] كما شبهها في نواحي عديدة بجدتها الورعة ثيودوت فقد لزمت البيت وقضت أوقاتها في دراسة الكتب والتقوى والورع[٦٤٧].

مما يعكس رؤية المجتمع البيزنطي في أن التربية المثلى للمرأة هي المكوث في المنزل وعدم الخروج للشوارع والأسواق.

بالإضافة إلى الموضوعات السابقة في الشعر وجد نوع آخر عرف بالشعر الغنائي الذي كان متواجداً في العصر المقدوني، وكانت مثل هذه الأغاني تنتشر في حفلات الزفاف وكانت مصطلحاتها أكثر

احتوي الاتهام على عدد من الاتهامات منها عدم التقوي و الهرطقة والقتل وتدنيس المقدسات واستشهد على عدم تقوى البطريرك بعدم اتخاذ الأخير إجراءات ضد الهرطقة، واتهمه أيضا بالانخراط في مسائل السحر والتنجيم، واستند في تدمير البطريرك لكنيسة القديس اندرو، وانتهاك القبور لاتهامه بتدنيس المقدسات واتهمه بأنه ينوي تنصيب نفسه بطريركا.

للمزيد أنظر: Psellus chronographia, p.14

Dennis, Michelis pselli orations, pp 53 – 55.

Dennis, A Rhetorician, pp. 190 – 192.

(642) Dennis, Rhetorician practices law p.189 عن المرثية وتاريخ الوفاة انظر

(643) Browning, Teachers, p. 106.

(644) Baynes Byzantium, p. 237.

(645) Lerory, styliane. p 63

(646) Lerory " styliane" p.79.

هل كل عمل هذه الأعمال والرعاية وهي في الثامنة من عمرها؟ لا شك أن هذا الوصف يحتوي على المبالغة.

(٦٤٧) عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص ٦٢ . ص ٦٣.

روعة وإشراقا ومناسبة لروح المناسبة فتتعرض لضرورة الزواج ثم تشير للعروس وحجرة الزفاف الرائعة.

ومن هذا النوع القصيدة التي نظمها ليوشوبروسفاكتس Leo Choirosphaktes بشأن زواج الإمبراطور قسطنطين السابع من هيليين ليكابينوس عام ٩٢٠/ ٣٠٨ هـ[٦٤٨].

وكان أقرب الأشياء إلى الشعر الغنائي هو شعر الحكم والأمثال[٦٤٩] الذي كان يعبر عن الأمثال والحكم التي تؤخذ منها العبر، وكان القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين الرابع والخامس الهجريين عصر ازدهار لشعر الحكم، وذلك لأن مؤلفي إشعاره كانوا من أكفأ الشعراء البيزنطيين منهم قسطنطين الرودني ويوحنا جيوميتريس وكريستوفر الميليتي ويوحنا ماوربوس[٦٥٠] وكذلك قسطنطين سيفالاس Constantine Cephalas الذي بدأ نشاطه في نهاية القرن التاسع الميلادي الثالث الهجري بمجموعته الرائعة عن الحكم القديمة[٦٥١] وقد لقي هذا النوع من الشعر اهتماما واضحا لدي الناس في مجتمع القسطنطينية وكان موضوعه الحديث عن جمال القسطنطينية ووصف جمال المدينة، ومنشآتها وكذلك الصور والمباني الدينية خصوصا الكنائس وبعض المباني البارزة مثل كنائس القرن السادس الميلادي ومنها كنيسة القديس بوليكتوسSt, Polyeuktos والقديس سيرجيوس St, Sergius [٦٥٢].

وهناك قصيدة ليوشوبروسفاكتس عن افتتاح حمام القصر في عهد ليو السادس عرض فيه للاحتفال الذي أقيم بمناسبة الافتتاح ويمكن أن يكون المؤلف أراد أن يوضح مدي الاختلاف الذي حدث قبل وبعد محاربة الصور والأيقونات [٦٥٣].

---

(648) Maguire, Byzantine court culture, p.146., Baynes, Byzantium, 249.

ليوشوبروسفاكتس: ظهر في أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلادي كان أحد الكتاب تحت حكم باسل الأول وقد منحه ليو السادس فيما بعد أعلى ثلاث مناصب شرفية عام ٨٩٦ م وتورط في الانقلاب الفاشل لقسطنطين دوقاس ضد مجلس الوصاية على قسطنطين السابع لذا أجبر على الدخول للدير، وظل هناك حتى وفاته عام ٩٢٠م.

See Maguire, Byzantine court culture. p146

(٦٤٩) عفاف صبر، الإمبرطوريتان، ص ٢١٨.

(٦٥٠) رنسيمان، الحضارة البيزطية، ص ٣٠٥.

(651) Krumbacher, The History of Byzantine litrature, p.13

(652) Cameron, The Byzantines, p.135.

(653) Maguire, Byzantine court cuiliture, pp. 147 – 149.

بالإضافة إلى قصيدة Ekpharsis المشهورة في بداية القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري التي نظمها قسطنطين الرودني وكان موضوعها عجائب الدنيا السبع، وكنيسة الحواريين المقدسة[٦٥٤].

كما ظهر نوع آخر من القصائد وهي القصائد الساخرة التي قدمت الأفكار بصورة ساخرة مثل قصيدة يوحنا ماوربوس التي كانت تعليمية في مغزاها، ولكنها كتبت باسلوب ساخر ويذكر ماوربوس أنه عاني كثيرا في كتابتها فقد قضى ليالي طويلة لا ينام وظل أياما عديد ة ليصححها وينقحها[٦٥٥].

أما الشعر الرومانسي فيرى بعض المؤرخين أنه كان قليلا ونادرا واعتمدت القصائد المهمة على القصائد اليونانية [٦٥٦] والتي ظهرت في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري بعد ما أدخلت القصص الرومانسية الإغريقية القديمة كنموذج يحتذى به[٦٥٧].

وإلى جانب الشعر الرومانسي وجد نوع آخر من الشعر وهو الخاص بالحياة الاجتماعية والعادات البيزنطية وكان يطلق عليه الابيجرامات Epigram وكان من أبرز مؤلفيه كريستوفر الميليتي فقد كتب قصيدة عن رحلته من القسطنطينية إلى سيبريا عبر المقاطعات التي تبدو مناطق عسكرية، تعطي صورة مثيرة للشفقة لمعاناة طبقة الفلاحين [٦٥٨] وكتبت القصائد عن الأعياد الدينية مثل عيد الأربعين شهيدا فقد نظمت في هذه المناسبة قصيدة مكونة من خمسين بيتا وتضمنت القصيدة أيضا المدارس ونظام الدراسة

هذا المبني هو المبني الذي جمع البقايا الجوهرية والحقيقية عند البناء والتشييد الذي كان موجودا في بداية القرن الخامس والذي كان ينسب للعذراء واتسم بالتماثيل القديمة والفنون النفيسة الخاصة بالتماثيل وكان له مجموعة الفسيفساء والصور المائية وبعض الطيور وبعض الحيوانات.

Maguire, Byzantine culture . p. 1497.

(654) Cameron The Byzantines p. 135

الحرب التي استمرت ثلاث سنوات من ٩٨٦-٩٨٩م: هي الحرب التي كانت موجهة للقضاء علي تمرد بارداس فوقاس وبارداس سكليروس

للمزيد انظر العريني، الدولة البيزنطية، ط١٩٦٠م، ص٥١٦ وما بعدها.

(655) Lemerle, Le Gouvernment, pp. 199 – 200.

Krumbacher, The History of Byzatine literature, p.73.

(656) Baynes, Byzantium. p.244

(٦٥٧) رنسميان، الحضارة البيزطية، ص ٣٠٧.

(658) Vasilev. History, vol I. p. 365.

سيبريا:هي الجزء الشرقي والشمال الشرقي من روسيا، يمتد غربا من جبال الأورال حتي المحيط الهادي شرقا ومن المحيط المتجمد الشمالي حتى حدود الصين.

أنظر ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

فيها [٦٥٩] إلى جانب قصيدة يوحنا جيمتري عن الجنة وبعض التراتيل تكريما للعذراء المقدسة [٦٦٠].

وإلى جانب الشعر الاجتماعي وجدت بعض القصائد التي تتناول الأحداث السياسية مثل ما قدمه الشاعر يوحنا جيمتري الذي علق على الحرب التي حدثت عام ٩٨٦ – ٩٨٩ م/ ٣٧٦ . ٣٧٩ هـ في بعض أشعاره[٦٦١].

كما كان للإمبراطور السادس قصيدة قدمها لأخيه الكسندر وأخرى للثائر أندرونيكوس دوقاس لم يبق منهما إلا العناوين فقط، وهناك دليل على أنه أعد قصيدة سلمت للأساقفة كي تقنعهم بصحة زواجه الرابع الذي كانت ترفضه الكنيسة [٦٦٢].

وبذلك فقد تناول الشعر الدنيوي مختلف موضوعات الحياة العامة وإلى جانب هذا الشعر الذي عرضناه وجد الشعر الكنسي، وهو ضرب من الشعر استخدم أثناء الطقوس الدينية، وذلك لأن أغلب الطقوس في الكنيسة الأرثوذكسية تتألف من ترانيم بعضها وجيز مثل التروبيكا Troparia and stichera وتدرج التأملات بين أبيات الترنيمة المقدسة وبعضها طويل مثل كانونKanones and Kantakia وهي تأملات على القصائد التسع الغنائية الموجودة بالكتاب المقدس[٦٦٣].

وقد كتب يوحنا الدمشقي ثلاث قصائد دينية، ونظم اجناتيوس الشماس وليو السادس العديد من القصائد[٦٦٤]، على أن أفضل القصائد المعروفة هي قصائد ليو السادس وأهمها القصيدة الغنائية الدينية التي تحمل عنوان موضوعه " المجيء الثاني" وأنشدت في الكنيسة لدعوه الناس للتوبة، واحتوت على واحد وثلاثون مقطوعة شعرية[٦٦٥]، وكان الشعر الديني هو النوع الوحيد من الشعر الذي تهيأ له أن يخترق كل حواجز الأدب البيزنطي، ويبلغ مرتبته العظيمة بفضل ما أتسم به شعور البيزنطيين من الحدة والقوة والأصالة[٦٦٦]، وقد تأثر الشعر الديني بالقواعد البلاغية الكلاسيكية ولكنه ظل بصفة عامة أقرب إلى اللغة

---

(659) Lemerle Le Gouvernment p.240.

طارق منصور، قطوف الفكر، ج ١، ص ٤٠.

(660) Vasiliev, History, vol I. p 365
(661) Cameron, Byzantines. p. 134.
(662) Leo VI, The Homilies, p. 21.

(٦٦٣) طارق منصور، قطوف الفكر، ج ١، ص ٣٦.

(664) Krumbacher, The History of Byzantine Literature, p.70
(665) Leo VI, The Homilies, p. 19.

المقصود بالمجئ الثاني هو مجئ السيد المسيح وقد فهم هذا من السياق والدعوة للتوبة، وهذا أيضا يتفق مع معتقدات المسيحيين.

(666) Krumbacher, The Histor of Byzantine literature, p.69.

المنطوقة أكثر منه إلى اللغة الرسمية المدونة، وكانت القصائد تنقش على الأيقونات وعلى زخارف الكنيسة أو على الأثواب عن طريق المتبرعين بها في صيغة تميزها عن الشعر الدنيوي(٦٦٧).

ونستخلص مما سبق أن الشعر بنوعيه الديني والدنيوي استخدم للتعبير عن العواطف النبيلة في كافة المناسبات العامة والخاصة.

النثـر:

أما فيما يتعلق بالنثر البيزنطي فقد استشهد بالنصوص القديمة بهدف إحداث تقدم تعليمي وتعمق تعليمي، وتعمق في اللغة وفي علم القواعد وقد شهد القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري إنتاجا غزيرا ووفرا في النثر خاصة الرسائل التي تعددت موضوعاتها فمنها ما يخص مراسلات الإمبراطور والبطريرك وكبار رجال الدولة ومنها رسائل المناسبات، وخاصة ما يختص بالنصح والإرشاد والعزاء ومنها ما يتعلق بأخبار الناس(٦٦٨).

ولعل الرسائل التي حوتها مكتبة فوتيوس البطريرك تبين لنا كيف كانت هذه الرسائل تعبر عن الذوق الأدبي، والأسلوب المتبع في المكتبات ورغم العداء الديني بين الإسلام والمسيحية إلا أن فوتيوس عقد صداقات وطيدة مع بعض حكام المسلمين مثل أمير كريت فكان يراسله باستمرار(٦٦٩)، كما أرسل رسالة إلى البلغار ولكنها كتبت بلغة كبار الكتاب البيزنطيين مما جعلها صعبة الترجمة والفهم وقليلة الفائدة لأولئك الحديثي العهد بالنصرانية ولذلك لم تؤثر على الخان ولم تؤد إلى تقريبه وجذبه لكنيسة القسطنطينية، بل العكس فقد زادت من اتساع الهوة القائمة، بين البيزنطيين والبلغار(٦٧٠).

كما أنه أرسل العديد من الرسائل إلى البابا، وكانت أولى هذه الرسائل عندما شغل الكرسي البطريركي في القسطنطينية ٨٥٨ م/ ٢٤٤ هـ وكانت رغبة في مجاملة البابوية وحملت هذه الرسالة سفارة للبابا نقولاس الأول Nicholas I ٨٥٨ . ٨٦٧ م/ ٢٤٤ – ٢٥٣ هـ يبلغه أنه اجناتيوس قد اعتزل منصبه

---

(٦٦٧) طارق منصور، قطوف الفكر، ج ١، ص ٣٧.

(668) Lemerle, Le Gouvernnment, p.245.

نجلا شيحة، مدينة القسطنطينية، ص ١٧٦

(٦٦٩) عفاف صبر، الإمبراطورتان، ص ٢٧٨.

(٦٧٠) هاني البشير، بيزنطه، ص ٢٢٠ هامش (١)

طواعية، وبأنه قد انتخب وفق القانون ليتبوأ مهام البطريركية بدلا منه[٦٧١]، وفي فترة نفي فوتيوس وإبعاده عن الدير كتب العديد من الرسائل التي توضح وجهات نظرة الشخصية في أكثر من مناسبة التي تتبع من حياته الشخصية كما أرسل رسالة إلى البابا يعلن فيها عن رغبته في تقديم استقالته[٦٧٢]

وسار البطريرك نيقولاس مستيكوس Nicholas Mysticus- الذي هيمن على الأحداث السياسية والدينية في العاصمة البيزنطية خلال الفترة من سنة ٩٠١ – ٩٠٧م/ ٢٨١ – ٢٩٥ هـ، ٩١٢ – ٩٢٥/ ٣٠٠ – ٣١٣ هـ –على نهج فوتيوس فترك مجموعة من الخطابات بلغ عددها ما بين مائة وخمسين إلى مائة وثلاث وستين خطابا تعتبر وثائق رسمية توضح علاقة الإمبراطورية البيزنطية بكثير من القوى السياسية المعاصرة لها خلال الربع الأول من القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري من بينها البلغار والبابوية والخلافة العباسية وأمير كريت وكانت هذه الخطابات محفوظة ضمن مخطوطات الفاتيكان ثم نشرت في مجموعة Spicilegium Romanum , Tomx, 1844 – 1893[٦٧٣].

وكان من بين هذه الرسائل نحو تسع وعشرين رسالة تتعلق كلها بالشئون البلغارية، ويأتي في مقدمة هذه الرسائل المهمة تلك الرسالة التي كتبها البطريرك في يوليو عام ٩١٣م/ ٣٠١هـ /280 – 315م – 927 symeon of bulgria /893 إلي القيصر سيمون البلغاري عندما كان يشرع في غزو الإمبراطورية [٦٧٤].

---

(٦٧١) اسحق عبيد، روما وبيزنطه، ص ٧، وما بعدها

الباب نقولاس الأول: تولي البابوية من ٨٥٨ م إلى ٨٦٧ م ومنذ البداية رفض التدخل في شئون الكنيسة الشرقية وسبب أزمة بين الكنائس التي بدأت برفضه الموافقة على قرار ميخائيل الثالث بعزل إجنا تيوس وتنصيب فوتيوس بطريركا.

See Rosser, Historical dictionary, p. 292.

(672) George, History of the Byzantine Empire pp. 217 – 218.

(673) Vasiliev, history, vol I, p. 364.

Jenkins, R..Letter 101 of the patriarch Nicholas mysticus in studies on Byzantine History of the 9 th and 10th centries, London, 1970 pp, 75 – 80 p.75

أحمد عبد الكريم سليمان، رسالة منا لبطريرك نيقولاس ميتكوس إلى الخليفة العباسي، المجلة التاريخية المصرية المجلدت الثامن والعشرون، التاسع والعشرون، ١٩٨١ – ١٩٨٢م، ص ٤١، ص ٦٣، ص٤١.

تم استدعاء (نيقولاس مسكوس) من قبل الأمبراطور ليو السادس والذي قرر اعتلائه العرش عام ٩١٢م.

See oikonomides, N, La prehistoire de la Der nier volonte de leon VI Au suJet de la Tetragamine in Documents et etudes sur les insitutions de Byzance (vile – xves) London 1976 pp. 265 – 270.

وقد نشرت باللغة اليونانية تحت عنوان Epistolae

عنها أنظر: Nicolai, Constantine, Archiepishop, Epistolae.

(٦٧٤) هاني البشير، بيزنطه، ص ٧، ص ٨.

وتعتبر هذه الرسالة من أطول الرسائل التي كتبها نيقولاس إن لم تكن أطولها بالفعل[٦٧٥] وبين فيها أن سيمون كان هدفه الجلوس على عرش بيزنطة، وبأسلوب يجمع بين الترهيب والترغيب، كتب له عدة عبارات قائلا " **ألست خائفاً من تفكيرك في الاستيلاء على السلطة التي مجدها السيد المسيح على الأرض**" ثم ناشده أن يكف عن هجومه ضد الإمبراطور وهدده بالحرمان الكنسي إذا أصر على مغامراته وعلى الرغم من عدم جدوى هذه الرسائل فإن البطريرك لم يفقد الأمل، وظل طوال حياته يراسل سيمون حتى بلغت عدد الرسائل التي استأثر بها القيصر وحده نحو ست وعشرون رسالة[٦٧٦].

وهناك ثلاث رسائل موجهه من البطريرك نيقولاس إلى الحكام المسلمين وهناك خلاف على الرسالة الأولى فهي معنونه إلى أمير كريت لكن سياق الرسالة يؤكد أنها مرسلة إلى الخليفة العباسي المقتدر ٩٠٨ – ٩٣٢ م/ ٢٩٥ . ٣٢٠ هـ، أما الرسالة الثانية بعنوان "**إليه أيضاً**" أما الثالثة بعنوان رئيس أمة السراقنة ومملكتهم[٦٧٧].

وتحتوي الرسالة الأولي على معلومات عن حملة داميان على قبرص عام ٢٩٨ هـ . ٩١١ هـ بسبب تعاون سكانها مع قائد الأسطول البيزنطي الذي قام بهجوم على اللاذقية وكريت، ويحتج البطريرك في رسالته على تصرفات داميان في الجزيرة ويطلب إعادة القبارصة الأسرى إلى ذويهم.

والرسالة الثانية تتعلق بنفس الموضوع تقريبا لأنها تنصب على إطلاق سراح الأسرى المسيحيين.

أما الرسالة الثالثة فينفي فيها البطريرك ما أشيع عن هدم مسجد القسطنطينية، وعن المعاملة السيئة التي يلقاها الأسرى المسلمين فالرسالة تلقى الضوء على كيفية معاملة البيزنطيين للأسرى المسلمين[٦٧٨].

من الواضح أن الرسالة كانت موجهه بالفعل إلى الخليفة العباسي فهو وحده الذي يخاطب بعبارة " **رئيس أمة المسلمين ومملكتهم**" ومما يدل على أن المقصود به الخليفة المقتدر هو أن تاريخ البطريرك نيقولاس ٩٠١ – ٩٠٧ م/ ٢٨١ – ٢٩٥ هـ، ٩١٢ – ٩٢٥ م/ ٣٠٠ – ٣١٣ هـ قد عاصر اثنين من

---

(675) Jenkins, letter 101, p. 75.

(٦٧٦) هاني البشير، بيزنطه، ص ٨، ص ٩.

(٦٧٧) أحمد عبد الكريم سليمان، رسالة من البطريرك نيقولاس، ص ٥١.

السراقته: كان يطلق هذا للفظ على المسلمين.

(٦٧٨) أحمد عبد الكريم سليمان، العلاقات بين الدولة البيزنطية والقوى الإسلامية، ص م، ص ن

أحمد عبد الكريم، رسالة البطريرك نيقولاس ستيكوس، ص ٥٠، ص ٥١.

الخلفاء العباسيين، الأول هو الخليفة المكتفي ٢٨٩ – ٢٩٥ هـ ٩٠٢ – ٩٠٨م، وعهدة يوافق تقريباً الفترة الأولى التي شغل فيها البطريرك منصبه، والثاني هو الخليفة المقتدر سنة ٢٩٥ – ٣٢٠ هـ/ ٩٠٨ – ٩٣٢ م، ويدخل في عصره الفترة الثانية التي شغل فيها نيقولاس منصبه بعد عودته سنة ٩١٢ هـ عقب وفاة الإمبراطور ليو السادس ٩١٢ / ٣٠٠ هـ.

وبمقارنة نصوص هذه الرسالة بما ورد في المصادر العربية وجد هناك نص منسوباً إلى أحد وزراء الخليفة العباسي المقتدر وهو الوزير بن عيسي يتضح منه بالفعل أن هذه الرسالة كانت موجهه إلى الخليفة المقتدر(٦٧٩).

كما كتب البطريرك في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري إلى أمير اقريطش " كريت" يخاطبه بقوله: " **إن دولتي العرب والروم ظاهرتان على العالم كله، وهما يمتازان ويتألقان كالشمس والقمر في القبة الزرقاء ولهذا وحدة لا مندوحة لنا عن أن نعيش معا كأخوة بالرغم من اختلافنا في الطبائع والعادات والدين**"(٦٨٠).

أما الرسالة المعنونة بـ ١٠١ فهي تحتوي على موضوعين مختلفين، وقد ورد ذكر مستلم الرسالة الأولى في متن الرسالة الثانية، وأشارت إلى الاعتراف الرسمي بشرعية مستلم الرسالة، الأمر الذي يرجح أن يكون المستلمون لهذه الرسائل اشوط الثاني ايركات Ashot II ملك أرمينيا، وبطريركيه يوحنا السادس John VI.

وهناك اختلاف حول تاريخ هذه الرسائل ويري البعض أنها كانت موجهة من الإمبراطورة زوي وفي هذه الحالة ستؤرخ بالربع الثاني لعام ٩١٤م/ ٣٠٢ هـ ويمكن أن تعود هذه الرسائل إلى عهد رومانوس الأول عام ٩٢٠ م/ ٣٠٨ هـ(٦٨١).

---

(٦٧٩) أحمد عبد الكريم، رسالة البطريرك نيقولاس ستيكوس، ٠، ص ٥١.

(٦٨٠) نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٦٤.

(681) Jenkins, letter 101, p. 75.

عن الحروب بين المسلمين والأرمن أنظر صابر دياب، أرمينيه من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، القاهرة، ١٩٧٨م

أشوط الثاني: حكم من ٩١٤ م إلى ٩٢٨م واتخذ لقب ملك ملوك ارمينا ونجح في تأكيد استقلالها عن العرب والبيزطيين
See Rosser, Historical dictionary p.46.

على أية حال ليس هناك تعارض بين الروايات لأنها كلها في فترات متقاربة.

وقد جمع ليو الشماس في كتابه " التاريخ" بعض المراسلات من الأباطرة المقدونيين إلى جهات متعددة، فمنها رسالة أرسلها الإمبراطور نقفور فوقاس إلى الحاكم العربي لقرطاجه ورسالة متبادلة بين يوحنا تزيمسكس وبرداس فوقاس Bardas Phocas أثناء تمرد الأخير عام ٩٧٠ م/ ٣٦٠ هـ ورسالة أخرى بين برداس فوقاس وبرداس سكليروس والذي كان قد أرسل لكي يقمع التمرد(٦٨٢).

بالإضافة إلى هذه المراسلات الرسمية وجدت أخرى شخصية تمثلت في الخطاب الذي وجهه البطريرك نيقولاس للأساقفة الذين تخلوا عنه في قضية الزواج الرابع للإمبراطور البيزنطي ليو السادس التي أدت إلى إقالته بحكم المجمع الكنسي ويوضح في هذا الخطاب الأسباب التي أدت إلى هذا الحكم فقد وعدة الأساقفة عام ٩٠٧ م/ ٢٩٥ هـ بعدم الخضوع للإمبراطور في قضية الزواج الرابع والوقوف إلي جانبه، وعلى الرغم من هذا الوعد إلا أنهم تخلوا عنه وانضموا إلى ليوالسادس(٦٨٣).

والحقيقة أن البطريرك نيقولاس ترك لنا العديد من الرسائل والتي يؤخذ عليها أنها غير معنونه الأمر الذي يشكل صعوبة في معرفة أصحابها، كما احتوت بعضها على موضوعين مختلفين مثل الرسالة ١٠١، وهذا يعود إلى أسلوب نيقولاس الإنشائي في تقديم موضوعين مختلفين إلى نفس الشخص، ويرى بعض المؤرخين أن الرسالة التي على هذه الحالة هي عبارة عن وثيقتين مختلفتين، والسبب في دمجهما يرجع إلى أن المسودات كتبت في نفس الوقت إن لم يكن في نفس الصفحة (٦٨٤).

وإن صح هذا الافتراض فإن ذلك يرجع إلى ندرة الورق في هذه الفترة (٦٨٥) وإلى جانب البطريرك نيقولاس ترك لنا اريثاس القيصري بعض الرسائل التي رد فيه البطريرك نيقولاس فيما يتعلق بوصول الإمبراطور ليو السادس للعرش(٦٨٦).

وكانت له رسائل متعددة تناولت قضية الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس(٦٨٧)، وهناك رسالة نسبت إلى سيمون الماجستير Symeon Magistros معنونه إلى الرهبان، وتحديد إلى جماعات جبال

---

(682) Leo The Deacon, History pp 15 – 16.
(683) Oikonomides, la prenistoire de la dernier Volonte de leon, VI, P. 266.
(684) Jenkins, letter 101, p. 76.
(٦٨٥) شعبان، خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطي، ٣ أجزاء.
(686) Oikonomides. le prehistoire de Dernier volonted leon vi, p. 267.
(٦٨٧) وسام عبد العزيز، بيزنطة، ص ١٢٠ هامش (٨٧)

أوليمسOlympos وكاميناسKyminas وآثوس Athos يحث فيها الرهبان على الصلاة من أجل الجيوش المجتمعة في ساحة المعركة ضد سيف الدولة الحمداني ٣٣٣ – ٣٥٦ هـ/ ٩٤٤ – ٩٦٦ في عهد قسطنطين السابع(٦٨٨).

وظهرت في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري العديد من الرسائل، فقد أرسل بسللوس بعض الرسائل رداً على بعض أصدقائه مثل الرسالة التي رد بها على صديقه الذي حسده على لقب " قنصل الفلاسفة" الذي منحه إياه الإمبراطور قسطنطين التاسع فرد بسللوس بقلمه على هذا الأمر(٦٨٩).

وسبقتها رسالة أرسلها بسللوس إلى قسطنطين التاسع يرجع تاريخها لعصر سابق لم يكن فيها بسللوس على مقربه من الإمبراطور، ولم يكن على رأس الفلاسفة حيث يقول: " **الفلسفة أن الذي أشعلتها فقد حان الوقت لكي نتحدث بصراحة لا أعرف لماذا لم ترد لي الفلسفة الجميل، ولماذا لم تلتفت أنت إلى**(٦٩٠)، وكتب رسالة معنونه إلى ميخائيل كربولاريوس دمج فيها بين الفلسفة والشئون الإمبراطورية وعرض فيها بسللوس لأسلافه في وظيفته(٦٩١).

وكانت له رسالة موجهه إلى صديقه يوحنا ماوربوس الذي أبدي لبسللوس رغبته في ترك حياته الدينية، والعودة ثانية إلى حياته السابقة حينما كان يخدم في القصر الإمبراطوري ومن خلال رد بسللوس على هذه الرسالة ذكر أنه لم يستطع من قبل تحمل الحياة داخل القصر الإمبراطوري فترة قصيرة للغاية، وان السعادة تكمن في الحياة في اوشاتيا وليس في العاصمة خاصة القصر الإمبراطوري حينما يظل المرء دوما أسير الخوف من فقدان منصبه(٦٩٢).

---

(688) Nesbitt, Byzantine, p. 124.

الماجستير: لقب شرفي كبير ظهر في أواخر القرن التاسع الميلادي / الثالث الهجري

kazhdan, ODB, vol II, p1267, Rosser, Historical dictionary, p251.

(689) Ierodiakonou, Byzntine, p. 151.

وقد صدق الله إذ يقول في محكم كتابة:

بسم الله الرحمن الرحيم " الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ" صدق الله العظيم

سورة الزخرف آية (٦٧).

(690) Lemerle, Le Gouvernment, pp. 218 – 219.

(691) Kaldelis, Hellenism, p. 214

عن الرسالة أنظر: Psello, Eepistola Amichele cerulario

(٦٩٢) عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص ١٦٧.

وكان من جملة رسائل بسللوس تلك التي أرسلها إلى قاضي Thrakesion في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ولم تكن مدى سلطته واضحة، ولكن من المحتمل أن يكون مسئولا عن الشئون الدينية فقط دون العسكرية، وقد ورد اسمه في هذه الرسالة سرجيوس Sergios بخلاف الرسائل الأخرى المرسلة إلى نفس الشخص فلم تذكر اسمه.

أما الرسالة السابعة والثامنة فكان مستلمها أحد حكام ثغر الأبسيق Opisikionفي آسيا الصغرى والرسالة التاسعة منها نسختان، الأولى: معنونه إلى القيصر حنا دوقاس John Ducas شقيق الإمبراطور قسطنطين العاشر دوقاس Constantine X Ducas ١٠٥٩ – ١٠٦٧م/ ٤٥١–٤٦٠هـ أما الثانية فقد أملاها بسللوس على إلياس Elias الذي سلمها شخصيا إلى ابن أخ ميخائيل كريولاريوس Michael keroularis وأرسلت الرسالة العاشرة إلى شخص مجهول، ولكنه من الواضح أنه الصديق المقرب لبسللوس[٦٩٣].

ويرجع البحث أن يكون هذا الصديق المقرب هو يوحنا اكسفلينوس فقد وجد نص الرسالة مترجم إلى اللغة الإيطالية معنون إلى يوحنا أكسفلينوس[٦٩٤].

وهناك مراسلات شخصية خاصة بالنواحي التعليمية منها:

---

(693) Nesbit, Byzantine, PP45ff

الأبسيق Opsikion: هو أحد الثغور التي أنشأت في عهد الإمبراطور هرقل وكلمة أوبسيكون كلمة لاتينية مشتقة من الفرق التي كونت حرس الإمبراطور التي استقرت في أسيا الصغرى في الجهات المحيطة ببحر مرمرة، وتضم أقاليم بيثنيا وجالاتا وميسيا وفرجيا وهي مواجهة لشاطئ القسطنطينية.

عنه انظر ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص١١٨–ص١١٩.

الياس: هو الشخصية المحورية في هذه الرسائل وتبدو أن كنيته Kroustalas أو Krystalas كانت نادرا أما تتخلل المصادر الموجودة وفي نفس الوقت كانت توجد كاسم لعائلة راهب آخر John Kroustalas ولم يذكر بسللوس الدير أو الطائفة التي ينتمي إليها إلياس، ومن الواضح أنه سافر إلى سوريا Syria عبر أسيا الصغرى واليونان والبلبونيز والقسطنطينية وكان يهدف من رحلاته كسب المال لدعم نفسه وأمه وعدد كبير من أقاربه، وساعده بسللوس في كتابه مقدمة الرسائل التي أوصى بها إلى الشخصيات البارزة المهمة.

للمزيد انظر:

Nesbitt, Byzantine, PP.43ff.

وترجمت هذه الرسالة إلى الإيطالية عام ١٩٧٣م

See Psellos, Epistola Amichael Cerulario.

(694) See psello, Epistola AGiovanni Xifilino.

الرسالة التي أرسلها بسللوس إلى ايساس، أحد تلامذته السابقين، الذين كان يرى فيه أنه كنز حقيقي في علم النثر، لذا طلب منه الاعتناء بتلميذ يعجز بسللوس عن الاهتمام به نتيجة لمرضه(٦٩٥).

وكان لبسللوس بعض الرسائل الموجهة للكهنة، وكان يريد من ورائها غرس الأفكار الفلسفية الأساسية في تلاميذه وتوريتها تحت غطاء الأفكار التقليدية بدلا من الإعلان المباشر عنها، وخاصة لما فهمته الكنيسة من بعض آرائه ورأت أنها تثير الشك حول المذهب الأرثوذكسي(٦٩٦)، واتسمت رسائله وبصفة خاصة الموجهه للقضاة بالأسلوب الراقي، ويتضح من أول وهلة أنها موجهة لفئة مثقفة تنتمي للأرستقراطية المدنية(٦٩٧).

وإلى جانب الرسائل ظهر اتجاه جديد من الكتابات الأدبية تمثل في الكتابات اللاهوتية، والمدونات الكنسية، وسير القديسين(٦٩٨).

سير القديسين *Hagiography*

تميز القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري بوجود عدد من المؤرخين الذين كتبوا في السير والتراجم، وخاصة تلك التي تتناول حياة القديسين والقديسات وكتبت بقلم المؤلفين الرهبان أنفسهم، وهم الذين تخصصوا في كتابة السير على نطاق واسع وترجمت إلى لغات مختلفة، ولعب الرحالة والرهبان دورا مهما في نشرها(٦٩٩).

وكان الغرض من كتابة هذه السير التي سميت أيضا vita عرضا لحياة القديسين والقديسات

---

(695) Lemere, Le Gouvernment, P.241

مما يدل على أن التعليم في العصر المقدوني عرف ما يعرف حديث بنظام المنح، والبعثات الخارجية التي يحصل عليها الطلاب المتميزين، وأن كان ليس بصورة كبيرة كما يحدث اليوم.

(696) Kaldelis, Hellenism, P.197.

(697) Nesbitt, Byzantine, P.45.

(٦٩٨) طارق منصور، قطوف الفكر، ج١، ص٢٧-ص٣٠.

الكتابات اللاهوتية مثل مؤلفات يوسبيوس القيصري المسمى التاريخ الكنسي، وكتاب تاريخ الكنيسة الذي كتبه سوزومينوس Sozomenos الذي ولد نحو ٤٠٠م في غزة بفلسطين وغيرهم.

انظر طارق منصور، قطوف الفكر، ج١، ص٢٧-ص٢٨.

وسيقتصر البحث علي الإشارة لسير القديسين، لأنها كتبت في العصر المقدوني، ومثلت لونا من ألوان ا لفكر في فترة الدراسة.

(699) Cameron, the Byzantines, P.147.

ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص١٨١.

وتقديمهم كنموذج يحتذي به المخلصين ووصف الصور التي أظهر فيها هؤلاء الأتقياء قداستهم من خلال إهمالهم للرغبات الجسدية والقيام بالنشاط الخيري[٧٠٠].

وتصف Vitaحياة القديسين في طفولتهم المبكرة، وأصولهم الأمر الذي كان مهما للقراء والكتاب على السواء[٧٠١]، وخاصة لأن البيزنطيين كانوا يعتقدون أن مستقبل هؤلاء الأطفال تحدد منذ مولدهم لذا أراد الآباء أن يعرفوا ما يحدث لهم في طفولتهم كي يرعونه في أبنائهم[٧٠٢].

ويرجع ظهور السير إلي القرون الأولى بسبب الاضطهاد الذي صحب ظهور المسيحية، وأدى إلى ظهور مجموعة كبيرة من السير والتراجم، وكان الشهداء المتواضعين من عباد الصور، والبطاركة المتمسكون بسنة السلف، بل حتى الإمبراطورة التقية ثيودورا Theodora نفسها محور هذه السير، وعندما انتهى عصر الاضطهاد ولم يوجد شهداء بدأ المؤرخون يسجلون سير النساك والأساقفة والبطاركة سواء بسواء، وتشير إلى حياتهم من الولادة حتى الوفاء وتتضمن عادة بعض المعلومات عن الأصل أو المصدر البيوجرافي Peographic وبعض هذه المؤلفات ذات قيمة أدبية عالية مثل ترجمة حياة البطريرك يوثيموس Euthemios[٧٠٣]. الذي أرسل لإنهاء سلسلة المشاكل بين الطوائف الرهبانية المختلفة على جبل أثوسAthos [٧٠٤].

وكتب السيرة المؤرخ ميثوديس Methodius والذي لم يتحدث كثيرا عن طفولته بحجة أنه لا يعلم كثيرا عن حياته، ويشعر أنه ليس في حاجة إلى ذلك وأشار إلى تربيته وأخلاقه، وكتب عن استشهاده[٧٠٥].

---

(700) Talbot, M. Holy Women of Byzantine Washington, 1996, P.V11.

(701) See Prince, G. Adictionary of Naratology, London, 2003.
Talbot, Becoming Byaznitne, P.127.

(702) Dagron, G. Decrine, et Peindre Eassisur le Portiat, Paris, 2007, P.142.
Tabbot, Becoming Byzantine PP.127-128.

(703) Talbot, Becoming, P.127.

طارق منصور، قطر الفكر، ج١، ص٣١.

للمزيد انظر:

Euthymios, Testament of Eurthyimios

ثيودورا: لمقصود بها الإمبراطورة ثيودورا زوجة الإمبراطور ثيوفيل العموري، وأم ميخائيل الثالث ٨٤٢-٨٦٣ وقد أعادت الأيقونات سنة ٨٤٣م أثناء وصياتهاعلي ابنها.

See Vasiliev, History, Vol I, P.292.

(704) Constatine 1X, Typikon of Emperor Constantine 1X, P.281.

(705) Talbot, Becoming, P.127.

وتعتبر هذه السيرة مصدرا مهما عن عصر ليو السادس وعن الخلاف الذي نشأ بينه وبين البطريرك نيقولاس ميستيكوس بسبب الزواج الرابع للإمبراطور[٧٠٦]، وفي القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري ظهرت سيرة القديس أندروس Andros التي تصور كثيرا من المفاسد التي كانت منتشرة في المجتمع البيزنطي[٧٠٧].

ولم يقتصر الأمر على سير القديسين ولكن حررت سير خاصة بالنساء القديسات مثل القديسة ماري الصغرى Mary the Young عام ٩٠٣م/٢٩١هـ الأرمينية، والتي هاجرت مع زوجها إلى القسطنطينية في عهد باسل الأول وعرفت بالتقوى وكانت تحضر إلى الكنيسة لأخذ البركة، وتصلى في البيت وقد كتبت سيرتها بعد موتها مباشرة أو في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري ويرى البعض أنها كتبت بعد عام ١٠٢٥م/٤١٦هـ.

على أية حال فإن السيرة مكتوبة بأسلوب مثير، وتدل على ميول أدبية واضحة لدى المؤلف وتعود أهمية العمل إلى أنه مصدرمهم للمعلومات عن الحملات الموجهة إلى تراقيا[٧٠٨].

كما تدل على حق المرأة في بلوغ مرتبة القداسة، رغم كونها متزوجة وليست راهبة إذ دافع عن ذلك كاتب السير الذي أشار إلى أن ماريا رغم كونها متزوجة وحملت أطفالا إلا أن ضعف طبيعتها كأنثى وانعدام أهليتها لم يقف حائلا دون اتصالها بالرب[٧٠٩].

كانت ثومايس الليسبوسية Thomais of Lesbos مثل ماري الصغرى مثالا نادرا لزواج المرأة العلمانية التي حققت القداسة أثناء حياتها اليومية[٧١٠].

ويعبر عن ذلك كاتب سيرتها الذي يقول:" **رغم كونها أنثى بالطبيعة لكنها بالفضيلة والتنسك كانت أكثر ذكورة من الرجال**"[٧١١].

---

(706) Oikonomides, La Predhistoire, PP. 268-269.

(٧٠٧) عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص١٨٠.

(708) Life of St Mary the Younger, PP.239-247.

(٧٠٩) عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص٣٦.

(710) life of St Thomais, of Lesbes, P.291.

(٧١١) عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص٣٦.

وتعود أهمية السير أنها ألقت الضوء على القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري[٧١٢].

وظهرت بعض السير تؤرخ للحياة السياسية مثل سيرة القديسة ثيوكتيست Theoktisteالتي ولدت بالقرب من ليسبوس Lesbos فبعد أن فقدت والديها في طفولتها المبكرة التحقت بدير الراهبات وقد كتب سيرتها نيكتاس بناء على رغبة راهب يدعي سيمون Symeon الذي أخبر نيكتاس بهذه القصة التي سمعها من قبل صياد من أيبويان Euboean نيجربونت وطلب منه نيكتاس تسجيلها خوفا عليها من النسيان وتضمنت السيرة أيضا إشارات عن الهجمات العربية وتاثيرها على الجزر الأيجية، وإلى موت ليو السادس، وفترة وصاية ليكابينوس، على قسطنطين السابع حيث اشترك المؤلف في الحياة السياسية في هذه الفترة[٧١٣].

ومثلها سيرة القديسة أثناسيا Athanaisa التي أصبحت راهبة في عمر الشباب، وهي في الحقيقة لم تتزوج مرة واحدة وإنما مرتين واتفقت مع زوجها الثاني بأن تترهب وتوفي هذا الزواج في هذه الحالة المقدسة، وقد سافرت للعمل في القسطنطينية حيث ظلت في الدير ما يقرب من سبع سنوات ثم عادت إلى إيجينيا وتوفيت بعد فترة قصيرة من عودتها للوطن[٧١٤]، وأرخت السيرة أيضا للهجمات العربية على سالونيك[٧١٥]، وكذلك سيرة القديسة ثيودورا Theodora التي تأثر مسار حياتها بالهجوم العربي الذي دمر الجزر والمناطق الساحلية الإيجية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين الثالث والرابع الهجريين، وقد هاجرت إلى سالونيك بعد وفاة أخيها في الهجوم العربي، وهاجرت هي وزوجها ووالدها واختارت سالونيك لأن فيها أقربائها[٧١٦].

وجدير بالذكر أن سير القديسين والقديسات على الرغم من أنها تشير، وتمثل الاتجاه الديني للأدب البيزنطي إلا أنها لم تخل من الشطط الفكري مما جعلها تحتوي على الكثير من الروايات والقصص الخيالية والمبالغ فيها في كثير من الأحيان، ومع هذا فإن القيمة التاريخية لهذا النوع من الأدب البيزنطي غاية في الأهمية[٧١٧].

---

(712) Life of St Thomasis, P.291.
(713) life of St Theoktiste, P.95.
(714) life of St Athanesia, pp.137-138.
(715) life of St Athanesia, PP.137ff.
(716) Life of Theodora, P.159 ff.

(٧١٧) طارق منصور، قطوف الفكر، ج١، ص٣١.

فقد زودت هذه النصوص العلماء بمعلومات عن الأحداث العارضة التي ساعدت في فهم الحياة العامة، مقارنة بكتب التاريخ والسجلات التي كتبت عادة في القسطنطينية بؤرة النشاط الدبلوماسي، العسكري السياسي والشئون الكنسية، كما تقدم معلومات عن الحياة في المدن والريف عند التعرض للحديث عن أصول هؤلاء القديسين.

كما أنها تلقى الضوء على الأحداث السياسية التاريخية ومجالس الكنسية إلى جانب الخلافات الدينية والمجاعات والكوارث وغزوات الأعداء ومؤسسات الأديرة والنظام الرهباني اليومي، ومظاهر الحياة العامة مثل الحمية وتناول الطعام، والشراب بشكل منتظم، الملابس وتربية الأطفال والتعليم وشكل الأسفار والأمراض العارضة ونظام العظة وبناء الكنائس(٧١٨).

وإلى جانب سير القديسين ظهرت تيبكا الأديرة Typica التي تلقى الضوء على القواعد المنظمة للدير(٧١٩) ومنها تيبكون ديرستوديوس Stoudias وهي ترجع إلى النصف الأول من القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري وهي مؤرخة بعد عام ٨٤٢م/٢٢٨هـ(٧٢٠)

وتشهد كتابات ثيودور على استعانته بكتابات وتعاليم الآباء، وخاصة القديس باسل القيصري St. Basil of Caesareaالمشرع الأول للحياة الرهبانية.والقديس دورثيوس الغزاوي Dorotheos of Gaza وهو أحد الآباء المشهورين في الصحراء الفلسطينية وتقدم هذه الوثيقة معالجة مفصلة لكن بطريقة غير منظمة للأمور المتعلقة بالطقوس الدينية ونظام الحمية، وقواعد العمل اليدوي، ومعرفة القراءة والكتابة(٧٢١)، فنص المدير على أنه في حالة استقبال رهبان من أديرة أخرى أو أحدى الأشخاص العلمانيين ممن لديه رغبة حقيقية في الالتحاق بالحياة الديرية فكان يسمح له بالبقاء في نزل المسافرين والفقراء لمدة أسبوع أو ثلاثة هي فترة الاختيار حتى يتعرف ويستكشف بنفسه نظام الحياة بداخل الدير فان أبدي استعداده بالبقاء كان رئيس الدير يوضح له بعض الأمور ويوجه له النصح والإرشاد ثم يقوم بدرج اسمه في قوائم الرهبان بالدير، ويأذن له بممارسة الحياة الرهبانية(٧٢٢).

---

(718) Talbot, Holy Women, PP.V11, VIII.

(719) See Typikon of Emeror Constantine 1X, PP.281-293.

(720) See Stoudios, Rule of the Monastery of St John Stoudios in Constantionple.p84.

(721) Studios, Testament of Theodore the Stdite for the monastery of st John stoudios in Constantinople, trans miller, T. BMFD, Vol I, No3, PP.67-83.

(722) Stoudios, Rule of the Monastery of St. Stodios. p.108 .

وفي حالة قبوله في الدير كان يتسلم الزي الرهباني الخاص به وكان يتم منحهم احتياجاتهم الضرورية من الملابس والأحذية ونص تيبكا دير ستوديوس على ضرورة منح كل راهب قطعتان من الملابس ورداء للعمل وملابس للنوم وحذاء [٧٢٣].

ومن قواعد الدير عدم السماح بفتح باب الدير لأي إمرأة على وجه الإطلاق [٧٢٤] وعلى الرغم من هذا الموقف المتشدد تجاه النساء إلا أنه سمح لرئيس الدير في حالة أن يكون هناك ضرورة قصوى لمقابلة أي إمرأة لمسألة ضرورية وملحه فمسح له بمقابلتها على أن يكون بصحبته راهبين[٧٢٥].

وحظر تيبكون ديرستوديوس على رئيس الدير استمرار الروابط الأسرية، وضرورة قطع صلته نهائيا بالعالم الخارجي ولم يكن الأمر قاصراً على رئيس الدير فقط، بل أيضا على كافة أعضاء المجتمع الديري[٧٢٦].

ووضع القديس أثناسيوس الأثونايتي Athanasios of Athonite القواعد المنظمة لدير لافرا التي اعتمد فيها على تيبكون ويرستوديوس[٧٢٧] فمثلا كان يتم منح الرهبان بدير لافرا قطعتان من الملابس الخارجية وقلنسوه عباءة ثقيلة[٧٢٨] ذلك طبعا لقواعد دير ستوديوس.

وشددت القواعد الديرية وأكدت على ضرورة الاهتمام بالرهبان بالمرضى وكبار السن، كذلك الراهبات المريضات والطاعنات في السن، وتوفير سبل الرعاية والعناية الصحية لهم من خلال ما تسمح به موارد الدير[٧٢٩].

وقد اهتم الأباطرة بشأن الجماعات المقيمة على جبل أثوس فوضع مبعوث الإمبراطور حنا تزيمسكس القواعد والقوانين لتنظيم الحياة الرهبانية هناك [٧٣٠] وحذر اصطحاب الأطفال للدير ومنع عمال البناء الوافدين للجبل من اصطحاب الأطفال معهم سوأ أكانوا مساعدين أو مهنيين[٧٣١] وكذلك الخصيان

---

(723) Stoudios, Rule pp. 113 – 114.
(724) Stoudites, Testement, p. 78.
(725) Studios, Tstament, p. 78.
(726) Studios, Estament, p. 77.
(727) Stoudios, Rule, p.88.
(728) Ath: Rule of Athansios the Athonte for the Lavra monasteryp228.
احتوت التيبكون على العديد من القواعد وسنضرب أمثلة عن تلك القواعد التي تضمنها تبكون الأديرة.
(729) Ath, Rule of Athansios, p. 228.
(730) Tzimiskes, Typikon of Emperor Tzimiskes, pp – 232 – 235.
(731) Tzimiskes Typikon, p. 240.

وذلك حفاظا على قدسية الجبل وعدم تدنيسه ولكن في الحالات الحرجة والضرورية والتي لا يمكن تجنبها نص التيبكون على عدم السماح باستقبال هؤلاء الأشخاص ما لم يفحص رؤساء الجبل الحالة ويقرروا وإذا اكتشف أن أي من رؤساء الأديرة أو النساك قد استقبل في ديره أو صومعته طفلا أو خصيا وتم تحذيره أكثر من مرة لم يصغ فكان يتعرض لعقوبة الطرد نهائيا من الجبل(٧٣٢).

ونص على منح الأشخاص الوافدين على الجبل عاما للاختيار أما إذا ما دفعت الضرورة الملحة أو أي سبب آخر شخصا ما للقدوم إلى الدير ولا يستطيع الانتظار لمدة عام وطلب أن يدرج اسمه في قوائم الرهبان بالدير ففي هذه الحالة نص التيبكون على ترك الأمر لرئيس الدير للبث فيه (٧٣٣).

وتتميز هذه الوثيقة بأنها لم تقتصر على القواعد المنظمة للرهبان فيما بينهم بل وضعت أيضا قواعد منظمة لعلاقتهم مع العالم الخارجي وبصفة خاصة في ميدان التجارة(٧٣٤) وهناك وثيقة و تيبكون نقفور ارونيكوس ترجع إلى أواخر القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري وبداية القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري(٧٣٥) ونصت على أن يشتمل الدير على اثني عشر راهبا ما عد الرئيس، واثني عشر مريضا مسن وأربع مساعدين لبيت الشيخوخة(٧٣٦).

ووضع القديس نيكون القواعد المنظمة للجبل الأسود وهي ترجع إلى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري وتم تأريخها في الفترة من ١٠٥٠ – ١٠٦٠م/ ٤٤٢ – ٤٥٢ هـ وفرضت قيود صارمة على تواجد المرأة بداخل الدير أو المناطق المحيطة به حتى وإن كان سبب قدومها طلبا للمساعدة أو أي شيء آخر(٧٣٧).

ونص التيبكون على ضرورة ممارسة العمل اليدوي، حيث أجبر القديس جميع أفراد مجتمعه الرهباني على مزاولة أنشطة مختلفة من الأعمال اليدوية، ولم يقصد نيكون من وراء ذلك الاجبار أو الإذلال ولكنه أراد بأن يكون كل فرد بداخل الدير فرداً منتجا من خلال أدائه الحرفة التي يستطيع إتقانها، ولذلك فرق

---

(732) Tzimiskes Typikon, p. 239.
(733) Tzimiskes, Typikon, p. 238.
(734) Tzimiskes, Typikon, pp. 232 – 235.
(735) Nikephoros Erotikos, Typikon of Nikephoros Ertikos for the monastery of the mother of God and the old age Home called Ta Dermaon mount Tmolos, in BMFDpp. 310 – 313.
(736) Typikon of Nikephor os, p. 310.
(737) see Black mountain: Regulations of Nikon of the black mountain.p, 410.

القديس بين الرهبان الذين تساعدهم قدراتهم الصحية والجسدية على مزاولة الأعمال الشاقة وبين الرهبان ضعاف الصحة على ممارسة الأعمال التي تتطلب مجهوداً أقل[٧٣٨].

وفي نفس القرن وحوالي عام ١٠٥٤ م/ ٤٤٦ هـ ظهر تيبكون الإمبراطور قسطنطين التاسع لإنهاء سلسلة النزاعات بين الرهبان على جبل أثوس [٧٣٩] وحظرت على الرهبان بيع الأخشاب المستخدمة في المباني والإنارة عن طريق القوارب خارج الجبل وبيعها لأشخاص علمانيين، ولذلك فرضت التيبكون عقوبة شديدة تقضى بسحب قارب الشخص الذي يمارس مثل تلك الأنشطة [٧٤٠]، ونص على ضرورة إقصاء جميع الأغنام والماعز والأبقار التي يتم رعيها بالجبل بأن ترعي خارج شبه الجزيرة[٧٤١].

وفي حالة لجوء الرهبان إلى الدير فلم يسمح باستقبال هؤلاء الرهبان دون إذن وإقرار من رئيس الدير، ولكنه وضع قاعدة استثنائية تقضى بقبول ذلك الشخص في حالة إذا سلمه رئيس الدير إلى الدير الجديد طبقا لرغبة رئيس الدير وموافقة المجتمع الديري الذي يرأسه [٧٤٢]، وإلى جانب تيبكا الأديرة وجدت وصايا موجهه لبعض الأديرة مثل وصية بول الأصغر Paul of the Younger لدير ستايلو بجبل لا تروس[٧٤٣]. تناول فيها أيام الصوم وأنواعه [٧٤٤]

وتعود الوصية إلى أوائل النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري وهي مؤرخه بعام ٩٥٥ م/ ٣٤٤ هـ[٧٤٥].

وأوصى بعدم دخول النساء للدير ومن يفعل ذلك يتعرض للعنه وأكد على ضرورة أن يسود الحب والسلام اللذين أوصى بهما السيد المسيح وأن يمتنعوا عن الشر والثرثرة والحسد [٧٤٦].

---

(738) Black mountain, p. 409
(739) Contantine lx. typikon of emperor Constantine lx p.281.
(740) Constantin IX, Typikon of Emperor Constontine lx p. 287.
(741) Constantin IX, Typikon p. 285.
(742) Constantin IX, Typikon, p.288.
(743) Latros, Testament of pule the youger pp. 139 – 140.
ولد بول في اليا قرب بيرجامون نحو نهاية القرن التاسع الميلادي، أحضر والده في سن مبكرة الي بطرس مؤسس ورئيس دير كار على جبل لا تروس الذي زره بمعلومات عن الحياة الرهبانية.
See Testament of pule the younger p.135.
(744) Testament of pule the younger p. 140.
(745) Testament of pule the younger p. 135.
(746) Testament of pule the younger p.141

وكان للقديس حنا زينوس St,John Xenos وصيه موجهة لدي أنتيفونيتريا Antiphonetriaبجزيرة كريت وتاريخ هذه المؤسسة معروف في اثنين من السير الذاتية إحداهما مشتقة من مخطوطة القرن الخامس عشر الميلادي في مكتبه بودليان بأكسفورد والأخري مخطوطه محلية، حاول فيها المؤلف أن يؤكد فيها على استقلالية مؤسسته ويحاول دائما أن يثبت أنه هو الذي تبرع ببنائها(٧٤٧).

وكان للمؤرخ ميخائيل اتالياتس وصية موجهة إلى مأوي الفقراء، وكنيسة السيد المسيح وصدرت بمقدمة طويلة متعلقة بالسيرة الذاتية له(٧٤٨) تهتم الوصية بنقل المؤسسات كملكية خاصة بعائلة اتالياتس، ووفقا لما ورد بهذه الوثيقة فإنها تذكر أنه حصل على أملاكه المختلفة في ريدستوس Rhaidestos على الساحل الشمالي لبحر مرمره في القسطنطينية من ممتلكات زوجته الأولى صوفيا وأقربائها واختار اتالياتس ن يكرس ما بين ثلاثة (٣) إلى ستة عشر (١٦) ولكن ليس أقل من سبعة عشر (١٧) ومن هذه الممتلكات للمؤسسات الخيرية، وبصفة خاصة لمأوي الفقراء وكنيسة السيد المسيح في القسطنطينية كما خصصت من ستة إلى إحدى عشر من ممتلكاته للكنيسة التي ستكون مجهزة برجال الدين النظاميين، ولكنه غير رأيه وخصصها للرهبان خشية أن يؤدي ذلك إلى سيطرة السلطات الدينية، وعين أوصياء على هذه المؤسسات الخيرية فجعل الوصاية لابنه ثيودوراTheodore أن تنتقل إلى الأحفاد بعد ذلك، وصدرت الوثيقة في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري(٧٤٩).

وكان يتمنى بناء فندق للحجاج الأتقياء أثناء زيارتهم للأماكن المقدسة، وكذلك ليكون مأوي للفقراء الغرباء وطلب منه رؤساء المؤسسات المقدسة أنه في حالة عدم تمكنه من القيام بذلك إن يقوموا ببنائه في آخر فناء منزله على الطريق العام(٧٥٠) مما يدل على أن اتالياتس كان رجلا محبا للعمل الخيري، ومن السيرة الذاتية التي أوردها في هذه الوثيقة نرى أن هناك بعض الإشارات التي توضح العلاقة بين الحكومة والأرستقراطية في بيزنطة فهو يتحدث عن تمرد حدث في مجلس الشيوخ (٧٥١).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن تيبكا الأديرة والوصايا الموجهة للأديرة شملت العديد من القواعد المنظمة للحياة داخل الدير، وأشارت إلى تاريخ نشأة المؤسسة الموجهة إليها وأرخت لحياة الكاتب أو المؤلف

---

(747) John Xenos, Testament of John Xenos pp.143 – 147.
(748) Attaliates, Rule of Michael Attaliates pp. 326 – 328.
(749) Attaleiates, Rule of Attaleates pp. 326 – 328.
(750) Attaleiates, Rule of aAttaleiates p. 343.
(751) Haldon, The social History of Byzantium p. 217.

ونلاحظ وجود تشابه بينها في كثير من البنود والقواعد، وتوضح مدى الدقة والنظام داخل الدير واتسمت بأن مؤلفيها كانوا من الرهبان وفي بعض الأحيان تضمنت بعض المعلومات عن الحياة الاجتماعية والسياسية أثناء الترجمة لحياة المؤلف وكانت التيبكا عادة موجهة لدير معين باستثناء تيبكون دير ستوديوس التي أثرت على العديد من الأديرة.

وكذلك ظهرت الخطب والعظات الدينية كنوع من أنواع الأدب البيزنطي ووضعت بجانب حياة القديسين في السجلات الأدبية المتنوعة [٧٥٢] وكان أبرزها عظات البطريرك فوتيوس الذي ترك ما يقرب من ثماني عشرة عظه ربما يعود تاريخها إلى فترة ولايته الأولى كبطريرك ٨٦٠ – ٨٦٧م/ ٢٤٦ – ٢٥٣ هـ والتي اتسمت بالتطورات الكبيرة في الحياة السياسية ويغلب على هذه العظات الأهداف التعليمية وعندما لا تكون كذلك يغلب عليها مواضيع دينية كمعاداة الحركة اللاأيقونية، وإعادة تأسيس وترسيخ فن الرسم المقدس والدعوة والترويج للإيمان الحقيقي بين الهراطقة وتهدئة الانقسام الداخلي في كنيسة القسطنطينية[٧٥٣].

ويقدم لنا البطريرك فوتيوس في بعض عظاته وصفا حيا لمراسم وطقوس الزواج المألوفة في المدن والقرى البيزنطية[٧٥٤] وعلى الرغم من تعدد خطب فوتيوس إلا أن أفضلها الخطبة العاشرة التي القاها عام ٨٨٠ م . ٢٦٧ هـ في حفل افتتاح الكنيسة الجديدة التي بنيت بالقرب من القصر الكبير في عهد الإمبراطور باسل الأول، واحتوت هذه الخطبة على وصف لتزيين الكنيسة كتب بأسلوب بلاغي راقي وأوضح فوتيوس أن هذا القرن اتسم بالإسراف في الاهتمام بالكنائس وزخرفتها[٧٥٥].

والحقيقة أن الإسراف في تزيين الكنائس إما أن يعود للنهضة الثقافية في هذه الفترة والتي شملت أيضا الاهتمام بالفنون أو يعود لرغبة مؤسس الأسرة المقدونية في كسب ود البيزنطيين عن طريق الاهتمام بالمقدسات الدينية لتدعيم سلطته وإن كان الأخير هو الأقرب للصواب.

---

(752) Camron, The Byzantines. p. 147.
(753) photius, the Homilies. p.3.

(٧٥٤) عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص ١٤٦.

(755) Jenkins, The Tenth Homily of photius in studies on Byzantine History of 9th and 10th centuries, London, 1970 pp. 125 – 140 pp. 125 – 126.

وقد تم تحرير اثنين من هذه الخطب عام ١٩٥٤ م من قبل laourdos massrs kounoutosg ويحتفظ بها في المكتبة الوطنية في اليونان.

See Jenkins the Tenth Homily p. 125

وتعود أهمية هذه الخطب إلى أنها تساعدنا في فهم شخصية البطريرك وأنشطته بشكل كبير[٧٥٦]، وسار على نهج البطريرك تلميذه اريثاس فترك ما يقرب من تسع خطب تعتبر خطباً رسمية ألقاها جميعا باستثناء خطبته الرابعة أمام الإمبراطور ليو السادس في احتفالات رسمية أثناء شغله منصب المتحدث أو الخطيب الرسمي في القصر بين عامي ٩٠١ – ٩٠٢م/ ٢٨١ – ٩٢٠ هـ وتتضمن هذه الخطبة مادة خصبة عن عهد الإمبراطور ليو السادس[٧٥٧] وخطبته الثامنة كنت عن زواج الإمبراطور ليو السادس[٧٥٨]. أما التاسعة فكانت متعلقة بتتويج الإمبراطور قسطنطين السابع[٧٥٩] مما يدل على أن خطبة متعلقة بالشئون الإمبراطورية في العصر المقدوني.

أما بالنسبة للإمبراطور ليو السادس فإلى جانب أنشطته المتعددة ترك لنا العديد من الخطب والمواعظ الدينية[٧٦٠] ومن خطبه وجدت خطبة عبارة عن ثناء على القديس ديمتريوس St, Demetrios وكانت معنونه بالخطبة الثامنة عشر وهي قصيدة ومكونه من ثلاث وخمسين سطر[٧٦١].

وقد نسبت له رسالة في الجدل الديني لإرسالها إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، وهي رسالة قصيرة ضد الإسلام ما زالت باللاتينية وهذه الرسالة وثيقة الصلة بالرسالة التي أرسلها ليو الثالث للخليفة عمر[٧٦٢] مما يؤكد أن هذه الخطبة لم يصدرها الإمبراطور ليو السادس، بل كانت موجهه من قبل ليو الثالث الذي تتزامن فترة حكمه مع فترة خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ٩٩ – ١٠١ هـ/ ٧١٧ . ٧١٩ هـ.

وللإمبراطور ليو السادس خطبه ألقاها في ذكرى والده باسل الأول[٧٦٣]. وأتسم أسلوب ليو السادس بالتفخيم كي يحظي بانتباه الجمهور وكثيرا ما كان يعقد مقارنات ناجحة مما يدل على أنه كان فناناً بارعا في الكتابة، وعلى دراية بالتوراة وكتابات الآباء الأوائل ومعرفة جيدة بالأدب الكلاسيكي، كما استخدم أسلوب

---

(756) Photius, the Homilies.. 147.

للمزيد انظر: The photius schism Cambridge, 1948 Fransci, D,

وأقدم دراسة عنه

Heregenrother, Photius patriarch von Constatinople 3 vols, Regesnburg, 1867– 1869.

(٧٥٧) وسام عبد العزيز، بيزنطة، ص ١٢٠ هامش (٨٧).

(758) See Jenkins, Eight Letters Of Arethas On The Fourth Marriage Of Leo The Wise. in studies on Byzasntine History of 9th and 10th centuries, London, 1970. pp320-372.

(759) See Jenkins, The date of Constantine VII, pp 133-138.

(760) Edwin History of classical scholarship p. 404.

(761) Leo V l, The Homilies, p.90

(762) Leo V l, The Homilies, p.21.

(763) Leo Vl, The Homilies, p.49.

بلاغيا في عناوين الخطب مما أدى في بعض الأحيان إلى الغموض وكثيرا ما كان يتلاعب بالألفاظ، وأحيانا يتحدث عن الحب المقدس، واستخدم العبارات التي تتصل بعلم اللاهوت، وفي الخطبة الثالثة والثلاثين تحدث عن الذنوب البدنية.

ومما يؤخذ على خطبة أنها لم تتسم بعمق الفكر، وكثيرا ما استخدم عبارات مليئة بالمحسنات البلاغية فهو يكتب بأسلوب أدبي عالي [٧٦٤].

وفي القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري جسد كيكامينوسKekaumenos بعض الأفكار في مجموعة من النصائح راح يبثها لابنه، وهو يرسم له بها الأسلوب الأمثل والأفضل في الحياة وهذه النصائح في مضمونها تبدو كأنها ركائز للمحافظة ومقاومة التجديد أو التغيير، قدم فيها لابنه علامات إرشادية للسلوك اللائق بالرجل النبيل وأسرته، وراح ينصحه بصراحة متناهية بضرورة وضع قيود مطلقة على الفتيات الصغيرات مفترضا أن الحياة المثلى لنساء الأسرة خاصة الفتيات العذراي هي قضاء أوقاتهن في عزلة تامة وبلغ به الأمر إلى حد القول أحرص على حصر نساء بيتك كالمجرمين في السجون"[٧٦٥].

وكان لبسللوس العديد من الخطب والتي منها خطبة لازاروس التي دافع بها عن نفسه في محاكمة كنسية ولأسباب غير معلومة قام المجمع الكنسي بعزل لازاروس لكن الإمبراطور قد غير الحكم إلى النفي وفي عام ١٠٤٢-٤٣٤هـ قام قسطنطين التاسع باستدعاء لازاورس ومثل ثانية أمام المجمع الكنسي وتم اتهامه بقذف وسب الإمبراطور وعلى الرغم من وقوف الأساقفة إلى جانبه إلا أن الإمبراطور أصدر قرار بنفيه مرة أخرى، إلا أنه ما لبث أن تراجع وسمح له بالعودة، وفي هذه المرة انقلب الأساقفة بما فيهم البطريرك على لازاروس، وأصروا على أن حكمهم الأول بعزله من منصبه ما زال سارياً، وشبهوا العزل بالإعدام، وقطع الرأس، ومن ثم فلا يستطيع لازاروس العودة لمنصبه[٧٦٦].

والدفاع الذي كتبه بسل لوس كان من أجل تبرئة لازاروس من جميع التهم، ويغلب على أسلوبه البلاغة والخطابة، في وصفه للازاروس وهو يتأسي وينوح بصوت عال على الظلم الذي لاقاه، وفي استخدامه الاستعاره حيث شبه العزل بقطع الرأس واستطاع بالمناقشة والجدل في دفاعه أن يوضح قضيته[٧٦٧].

---

(764) Leo VI, The Homilies, pp. 82 – 86.

(٧٦٥) عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص ٣٧.

(766) Dennis, Rhetorician practices law p.192.
Gautier p. la defense de lazar de philippoupolis par Michael Psellos, Tm 8, 1981, pp.150 – 169.

(767) Dennis, Rhetorician practices law. pp. 192 – 193.

وفي خطبة أخرى نجد بسللوس يدافع عن رجل القانون يوحنا اكسفلينوس الذي هاجمه قاضي متقاعد يدعي أوفريراس Ophrydas ومحاميا يدعي بسل لوس علي الرغم من أن خصمه الحقيقي هو شخصا آخر كان ينافس اكسفلينوس على منصب المستشار القانوني، وذكر بسللوس أن اكسفلينوس . رغم أنه لا يذكر اسمه صراحة الأفضل لتولي هذا المنصب أكثر من خصمه، وحظر الخصم من الاستمرار في توجيه النقد لاكسفلينوس لأن ذلك يعني نقد وهجوم على الإمبراطور الذي عينه، ولكن الخطبة لا يذكر فيها أي قانون، ولو حتى بالإشارة إليه، فالحجة وعرض الموضوع كلها بأسلوب جدلي وبلاغي يراد بها استعطاف الإمبراطور(٧٦٨).

وتظهر عظمة الأدب البيزنطي في القصائد الخاصة بملاحم الأبطال أوروايات الفروسية التي كتبت في أواخر عصر الأسرة المقدونية تقريباً، ويمكننا أن نتخذ مثالا لها في ملحمة ديجبينيس اكريتاس التي كتبت في نهاية القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري، وبداية القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري أشادت بفضائل بطل عاش في عهود نقفور فوقاس ويوحنا تزيمسكس(٧٦٩).

وكان بطل الملحمة يتصل بصلة قرابة إلى أسرة دوكاس حيث كانت والدته ابنة القائد اندرونيكوس دوقاس Andronikos Ducas (٧٧٠).

وتبدأ القصيدة بقصة أمير عربي يخطف ابنة إحدى العائلات البيزنطية النبيلة، ولأنه يحبها فقد انتقل إلى بيزنطة وتحول إلى المسيحية ثم تزوجها، أما ابنها باسل وهو بطل القصيدة، ودمه مزيج من الدم العربي

---

(768) Dennis, Rhewtorician practices law p.193.
oikonamides, The peira of Eustathios Romaios An Abortive Attempt to Innovate.

(769) In Byzatine law fonts minores 7. Frankfurt, am. 1986. pp. 175 – 176.
Vasiliev, History, vol I. p. 369.

أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٥.

(٧٧٠) وسام، بيزنطة، ص ١٢٦، هامش ١٣٩

كان لاند رونيكوس دوقاس خمسة أولاد ولكنه وزوجته أنا رغبا في انجاب طفلة ولهذا صليا من أجل تحقيق ذلك، وفي وقت ملائم انجبا طفلة جميلة اسمها ايرين تنبأ العرافون بأن امير عربيا سيرتد بعد ذلك إلى المسيحية سوف يخطفها، وحينما كانت في السابعة من عمرها وضعت في قصر تحوطه حديقة ويملؤه الحراس والوصيفات وذلك كي لا تفكر في الحب على الإطلاق وذات مرة وعندما كان والدها في مهمة وقيل كان منفيا خرجت مع صديقتها للنزهة وهناك ثمة أمير عظيم اسمه موصور كان أمير لبلاد الشام شن هجوما على بلاد الروم حيث يصل إلى المكان الذي كانت تتنزه فيه ايرين فخطفها هي ورفيقاتها الصغار.

أنظر طارق منصور، ملحمة ديجينس اكريتاس ورؤية الآخر، مجلة كلية الآداب، جامعة. الزقازيق، فبراير ٢٠٠٤م، ص ٣، ص ٧٢، ص ٨.

والبيزنطي فيظهر كصياد ومحارب له قوة تفوق البشر ثم يهرب مع ابنه قائد كبادويا strategos of Capodocia التي حملها رغم أنف والدها وأخوتها السبعة وعندما تبعه أخوتها أوقعهم من على ظهور خيولهم الواحد بعد الآخر في أماكن اختارها في الممرات ولكنه لم يزهق أرواحهم بل تصالح معهم بناء على رغبة العروس(٧٧١).

وقد دارت أحداث الملحمة ما بين عامي ٨٦٠ – ٩٦٠م ٢٤٦– ٤٣٠ هـ ولكنها كتبت في وقت ما عندما عاد الهدوء على حدود الفرات، وقد أشار إلى عهد قسطنطين التاسع مما يوضح أنها ربما كانت في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري وكانت الملحمة نسخة مطابقة لنفس القصة، والملحمة من جزئيين الأول يدور حول الأب والثاني حول الابن(٧٧٢).

وتقع هذه الملحمة في ثمانية كتب يتضمنها مجلد واحد توجد منه العديد من الطبعات لنسخ متعددة/ متباينة في تاريخ النسخ إلا أن النسخة الأقدم التي يعتمد عليها عدد كبير من المؤرخين هي نسخة جروتافيراتا وهي تقع في ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمسين بيتا(٧٧٣).

والأحداث التي تذكرها القصة أسطورية فهي تصور العالم المختلف الظواهر الخارقة للعادة، الأسلحة السحرية الحيوانات الناطقة ولكنها تعكس اهتمام الطبقة الارستقراطية بالرومانسية والمنازل الجميلة والأشياء الفنية، كما وصفت الحياة المترفة للنبلاء في الريف البيزنطي، وذكرت مناجم النحاس على الحدود البيزنطية السورية، وكذلك أشادت إلى القصر الذي بناه ديجينس اكريتاس في القمم الجبلية الشرقية لمدينة كبادوكيا(٧٧٤).

وكان مسرح الأحداث التي تناولتها الملحمة بلد ما بين النهرين بين سميساط وكبادوكيا(٧٧٥).

---

(771) Ostrogorsky, A History of the Byzantine state p. 565
Bayanes, Byzantium. pp. 247 – 248.

أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٥.

(772) Baynes, Byzantium, pp. 247 – 248.

(٧٧٣) طارق منصور، ملحمة ديجينس اكريتاس، ص ٥.

عن النسخة انظر: Digenis Akritis, trans Jefereys

(774) Browning, Hellenisim in the Byzantine world p.125. Ostrogorsky A History of the Byzantine states p.565, Baynes, Byzantium, p. 247.

(775) Bayanes, Byzantium, p. 248
Rosser, Historical dictionary, p. 117.

وأرتكز هذا العمل على قصائد وقصص غنائية للشعراء القبليين المتجولين، وربما كان هذا المؤلف هو أحد هؤلاء الشعراء والقصيدة تتسم بالحيوية الواضحة[٧٧٦].

وتدل على أن الترابط بين الرواية الشفهية والموروث الشعبي قد وصل ذروته وأصبح شيئا واحدا في هذه الملحمة فليس بخاف على أن المشاعر الشعبية تبحث عن شخصية البطل الذي تتمناه في حاضرها ولا تجده ماثلا بين ظهرانيها فتستدعيه من ذاكرة التاريخ وتصنع منه البطل الذي تتطلع إليه ليخرج بها بقوته وذكائه المتقد وحيله البارعة وشخصيته الجذابة من الواقع الذي تحياه إلى أفاق أخرى تؤملها أكثر إشراقاً وسعادة.

فقد وجد الموروث الشعبي هنا وهو الكراهية البيزنطية للعرب ضالته في الشخصيات المحورية للملحمة والتي لا يمكن أن تنفض عنها غبار التاريخ حيث هناك ضرب من الحقيقة يربط بين هذه الشخصيات والأحداث الواردة في الملحمة وبين أشخاص مماثلين يوجدون بين ثنايا المدونات المعنية بتاريخ العلاقات بين البيزنطيين والمسلمين، فقد سجل الكاتب الرواية الشفهية التي وصلت إليه، وربما زاد فيها أو انتقص لتصبح نصا تاريخيا يكشف لنا عما كمن من مشاعر وأحاسيس شعبية في نفس المواطن البيزنطي تجاه العرب والتي تتخلص في:

١- إيمان المواطن البيزنطي بفكرة سمو المسيحية على الإسلام.

٢- إيمان المواطن البيزنطي بسمو شخصيته على ما دونها من البشر.

٣- حرص المواطن البيزنطي على أظهار العفة والشرف.

٤- إظهار الحنث بالوعد والسلب والنهب والقتل وقطع الطريق من صفات العرب.

٥- الدفاع عن المسيحية وإبراز طقس العماد كضرورة من ضروريات المسيحي الخالص[٧٧٧] ويرى

سميساط: مدينة استراتيجية في أعلى نهر الفرات، وقد ذكرت في الحرب الفارسيةعام٣٦٣م فقد استعملها الإمبراطور جوليان كمحطة بحرية، وحملته القادسية عام ٣٦٣ هـ، واحتلها العرب عام ٦٣٩ م واستولى عليها باسل الأول عام ٨٧٣م بشكل مؤقت وأعيد احتلالها في عهد تزمسكس عام ٩٥٨م وسقطت في ايدي الأتراك في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي.

Rosser, Historical dictionary, p. 350.

(776) Ostrogorsky, A History of the byzatine state, pp. 564 – 565.

(٧٧٧) طارق منصور، ملحمة ديجنيس اكريتاس، ص ٦٤-ص ٦٥.

عن مقتطفات من الملحمة أنظر ملحق رقم (٤).

البعض أنه لا يوجد لها مثيل أوربي متكامل الملامح اللهم إلا أنشودة رولان التي دارت أحداثها على الحدود الإسلامية الفرنجية وربما كانت اللمسة الدرامية أوضح في الملحمة الغربية ولكن ملحمة اكريتاس كانت الأفضل، وذلك من حيث دقة أوصافها ورقة ما فيها من تحليل النوازع النفسية، وربما جاز لها أن تدعي عن جدارة بأنها أعظم أنشودة رومانسية فإن واحدة من القصص الرومانسية التي جاءت بعدها لم تصل قط إلى مثل هذا المستوى(٧٧٨).

وظهرت في أوسط القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري ملحمة تقع في خمسة أبواب سميت" فتح كريت" نظمها ثيودوسيوس الذي عاش في أواسط القرن العاشر الميلادي وكان يعمل شماسا في كنيسة القسطنطينية وقد أثار حماسة الانتصار الكبير الذي أحرزه نقفور فوقاس في كريت أثناء الحملة التي قادها عام ٩٦٠ م/ ٣٤٠ هـ والتي نجحت في استعادتها من أيدي المسلمين(٧٧٩).

وأخيراً فإننا نلاحظ أن الأدب البيزنطي في العصر المقدوني قد حظي باهتمام كبير واتسم بالتنوع وتناول أحداث الحياة العامة، وعلى الرغم من إيجازه ورمزيته إلا أنه لم يصبح مجرد زخرفه فقط بل اهتم الأديب أيضا بالنموذج البشري (٧٨٠).

وإلى جانب الأدب ظهر الاهتمام بالفن من عمارة ورسم وزخرفة ونحت وموسيقى.

الفن The Art

ظهر الاهتمام بالفن بعد فترة طويلة من تحطيم الصور والأيقونات(٧٨١) وبصفة خاصة في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري حيث ظهرت تأثيرات الأنماط الكلاسيكية في أعمال فنية استخدم فيها العاج، وفي زخرفة المخطوطات بالذهب والفضة وقد ظهرت هذه التأثيرات في البداية على استحياء ثم ما لبثت الفنانون أن تجرأوا على استعمالها(٧٨٢) وأضافوا إليها من ناحية خطوطها وأشكالها لمسة من الذوق

---

(٧٧٨) رنسيمان الحضارة البيزنطية، ص ٣٠٧، طارق منصور، ملحمةيجنيس اكريتاس، ص ٣، ص ٤.

أنشودة رولان: أغنية شعبية كانت تدور أحداثها حول شخص الإمبراطور شارلمان وقد اتخذت هذه الأناشيد شكلها النهائي في الأقاليم الجنوبية من إمبراطورية شارلمان.

عفاف صبر، الإمبراطوريتان، ص ٣٣٣، ص ٣٣٤.

(٧٧٩) أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٦.

(780) Browning, Hellenism in Byzantine world. P. 126.

(781) Tradgold, Renaissance. p. 75.

(782) Ostrogorsky A History of the Byzantine state, p. 568.

وظهرت مواهبهم في الزخرفة الغزيرة والألوان البارزة بحيث تتلاءم مع احتياجاتهم [٧٨٣] وكان ازدياد ثروات الإمبراطورية سببا في ازدهار الفن بصفة عامة، وفن العمارة بصفة خاصة.

العمـارة:

اهتم الأباطرة بأعمال التشييد والبناء، وقامت الإمبراطورة ايرين Irene ٧٩٧-٨٠٢م/١٨١-١٨٦هـ ببناء كنيسة القديسة آياصوفيا في سالونيك، ويبدو المبني كئيبا وشبيها بالصندوق وقد انهارت قبته سريعا، كما أنشأت الإمبراطورة قصر في القسطنطينية واهتم خلفاؤها بترميم الحصون والكنائس، فكان ثيوفيلس مهتما بالبناء.

أما في العصر المقدوني كان للإمبراطور باسل الأول طموحات كبيرة في البناء مما دفعه أن يضيف على القصر الكبير، وان يصلح إحدى وثلاثين كنيسة وقام ببناء ثماني كنائس جديدة في القسطنطينية وما حولها. أما أكثر مشروع طموح قام به فهو بناء الكنيسة الجديدة ذات الخمس قباب عام ٨٨٠ م/ ٢٦٧ هـ والتي شكلت مثالا يحتذي به الأباطرة اللاحقون.

أما الإسهام الذي قام به ليو السادس في مجال البناء فهو تشييد كنيسة لزوجته ثيوفانو Theophano، كما بني الإمبراطور رمانوس الأول كنيسة ميريلايوم Myrelaeum التابعة للدير التي ما زالت أثارها باقية، ولكنها ليست على حالتها الأولى.

وقد حاكي أفراد الطبقة الارستقراطية أباطرتهم ببناء القصور وأسسوا كنائس وأديرة في القسطنطينية، ومرة أخرى بدأت مباني ذات أحجام وطرز فخمة في الظهور في المقاطعات. ففي البداية قامت الشخصيات البارزة ورجال الكنيسة بإنشاء أبنية صغيرة مشتملة على زخارف بسيطة وفي القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري بدأت أديرة لورا الكبري The great Lawra وأبيرون Iberon الموجودة على جبل آثوس في بناء كنائس أخادة ومثيرة للإعجاب وفي عام ١٠٢٨م/ ٤١٩ هـ قام قائد عسكري متقاعد ببناء كنيسة في سالونيك ظل الأباطرة ينظرون إليها بعين الإعجاب [٧٨٤].

ولم يقتصر الأمر على البناء، فحسب، بل امتد ليشمل زخرفة جدران الكنائس والقصور.

---

(٧٨٣) ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص ١٨٢.

(784) Ostrogorsky, A History of the Byzantine state, pp. 566 – 567.

ايرينIrene: أول امبراطورة، حكمت بيزنطة من ٧٩٧م إلى ٨٠٢ م ولدت في اثينا عام ٧٥٢ م عام ٧٥٢م وتوفيت في ليسبوس أغسطس ٨٠٣م، و أحضرها قسطنطين الخامس Constantine V إلى القسطنطينية حيث توجت وتزوجت من ليو الرابع Leo IVان وولدت طفلها الوحيد قسطنطين السادس وأصبحت وصية علية.

Kazhdan, ODB, pp. 108

Rosser, Historical, dictionary, pp. 205 – 206.

الزخرفة:

إن أعظم آثار العصر المقدوني الفنية كنائس القسطنطينية الفخمة بجدرانها المغطاة بالفسيفساء الملونة، والتي لا تصور فقط القصص المعروفة والمثيرة للعواطف والواردة في الكتاب المقدس بواقعية غريبة، بل تبهر أيضا نظر المشاهد لتلك الألوان الزاهية التي تشبه الجواهر المطلية باللونين الذهبي والأسود، ورسمت صورة تخيلية لأباطرة الأسرة المقدونية وعائلات القديسين(٧٨٥).

وزينت كنائس القسطنطينية بالفسيفساء الضخمة، ومن ذلك ما وضعه فوتيوس في كنيسة القديسة آيا صوفيا في القسطنطينية وقام بطاركة آخرون بإضافة أشكال إلى أعمال الفسيفساء بالكنيسة، وعلى الرغم من أن ما تمت إضافته يبدو صغيراً جدا مقارنة بحجم الكنيسة الا أنه على قدر كبير من الروعة(٧٨٦).

وكان هناك العديد من الزخارف الأخرى في القسطنطينية مثل الموجود في مدخل (آبس Apse)كنيسة القديسة ايرين، ولكنها استبدلت جميعا تقريبا بزخارف تصويرية عندما رفع حظر مناهضة الأيقونات (٧٨٧).

وقد وصل النمط المتنامي الجديد إلى قمته في مجال الزخرفة الكنسية ووضع عدد من أعمال الفسفساء في القسطنطينية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين من بينها أعمال الفسيفساء الموجودة في كنيسة باسل الأول ولم يبقى أي منها ولكننا عرفناهم من السجلات(٧٨٨) وصورة الإمبراطورة البيزنطية زوي Zoe وهي لوحة فسيفسائية للإمبراطورة في كنيسة أيا صوفيا(كنيسة الحكمة المقدسة) (٧٨٩).

وهناك نوع قريب من النمط الحضري هي الزخرفة الموجودة في نفس الكنيسة والتي تشمل مشهد صعود السيد المسيح إلى السماء، وصورة العذراء وهي متوجة، ومشاهد من العهد الجديد في صحن الكنيسة (٧٩٠).

وعلى العكس من تلك الزخارف قصصيه الطابع، وجدت أعمال فسيفساء في كنيسة آيا صوفيا تمثل

---

(٧٨٥) ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص ١٨٢٧.

(786) Ostogorsky, A History of the Byzantine state, pp 566 – 567.

(787) Talbot, Art of the Byzantine, p. 75.

(788) Talbot, Art of the Byzantine pp. 87 – 88

(789) Anne, D. Queen and Queen ship in medieval Europe, paper back, 2002, p, 141.

(790) Talbot, Art, pp. 98 – 100.

صورة العذراء وهي متوجه في الآبس والملائكة في القبو الذي أمامها والتي أشرنا إليها من قبل، و لكن اللوحات الأخرى الباقية تمثل جميعها تقريبا الأباطرة وبعض مشاهد من الإنجيل.

وعلي الباب المؤدي إلي داخل الكنيسة، وحتى الكنيسة تعرض صورة ليو السادس وهو ساجد أمام قدم المسيح وفوقه قلائد العذراء والملاك، والملاك بدون شك رمز للاعتقاد بأن الكنيسة بنيت بمساعدة إلهية بينما كان الملائكة يشاهدون ذلك.

صورة للإمبراطور ليو السادس وهو ساجد أمام قدم السيد المسيح وفوقه قلائد العذراء والملاك

وعلى الباب الجنوبي توجد فسيفساء أقيمت غالبا تحت رعاية باسل الثاني بين عامي ٩٨٦ – ٩٩٤م تظهر قسطنطين وهو يقدم نموذجا المدينة للعذراء.

قنسطنطين يقدم نموذج المدينة للعذراء

وهناك لوحات في بهو المعمد الجنوبي تظهر السيدة العذراء وهي تحمل السيد المسيح طفلا تقف

بين الإمبراطور قسطنطين التاسع وزوجته الإمبراطورة زوي على الجانب الآخر [٧٩١]

وهناك صورة تظهر السيد المسيح وهو يتوسط الإمبراطور والإمبراطورة [٧٩٢].

السيد المسيح يتوسط الإمبراطور قسطنطين التاسع وزوجته الإمبراطور زوي

كما وجدت زخارف حول تمثال السيد المسيح البانتوكراتور Pantocrator الموجودة في القبة الموجودة في دافني بالقرب من أثينا، تصور المشاهد الرئيسية في حياة السيد المسيح تحتل أربعة منه المثلثات أو الحنيات الركنية التي تدعم القبة في ديرهوسيوس لوكاسHosios Lukas والتي زخرفت حوالي عام ١٠٠٠م/ ٣٩١ هـ وتمثل مشاهد البشارة والميلاد وتصور صورة يسوع وهو يتقدم إلى الهيكل.

أما الزخارف الموجودة في دافني فاستبدل مشهد يسوع بمشهد التجلي وهو مشهد جميل ومؤثر على نحو خاص. ومن الجدير بالذكر أن أعمال الفسيفساء لازالت باقية في هوسيوس لوكاس Hosios Lukas، بالرغم من أن صورة المسيح في القبة قد دمرت.

(791) Talbot, Art, pp. 101 – 102.
(792) Talbot, Art, p. 104.

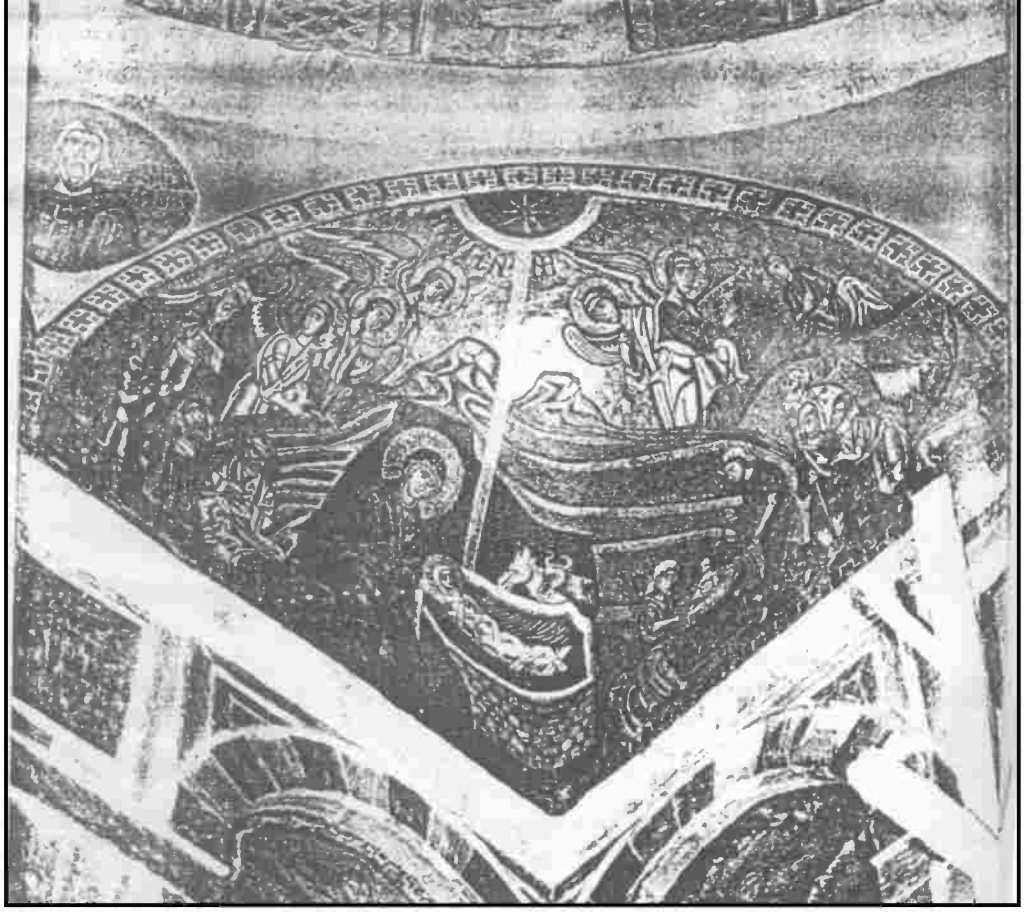

وعلى الرغم من أنها أفضل زخرفة باقية إلا أن نمط العمل يفتقر إلى ذوق مدرسة البلاط الملكي (كما سنري في النحت) فقد كانت نمطاً بدائيا وغير متقن الصنع(٧٩٣).

وارتبط اسم قسطنطين التاسع Constantine IX بسلسلة زخارف ملونة تخص تاجه والمحفوظة الآن في بودايسيت وهي تتضمن صور له والإمبراطورة زوي وأختها ثيودور وأيضا تماثيل نصفية للقديسين وبعض الصور غير المألوفة إلي حد ما لفتيات راقصات(٧٩٤).

(793) Talbot, Art, pp. 90 – 94.
(794)Talbot, Art, pp103-105.

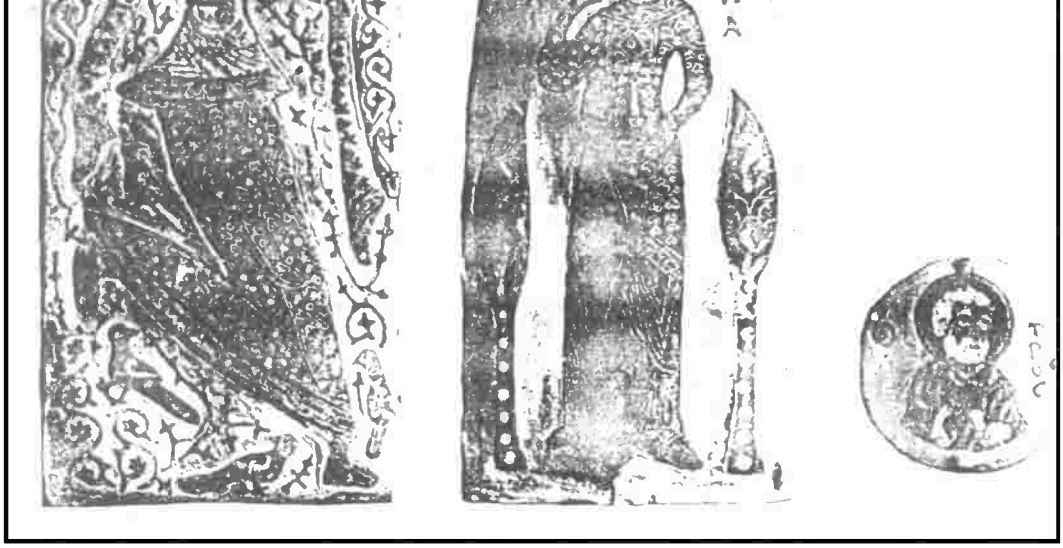

بالإضافة إلى الكنائس والأديرة وجدت بعض الزخارف في الكنائس الصغيرة ففي إحدى الكنائس الجانبية سجلت قصة العهد القديم أو قصة حياة العذراء، وفي أرقي مستوي بالحجم الطبيعي وكانت تقف شخصيات القديسين الذين كانوا مستعدين للقيام بدور الشفعاء والوسطاء بين الأرض والسماء، وعلى الآبس كان يوجد آباء الكنيسة الذين صاغوا القداس والذين كانوا مسئولين عن أدائه [٧٩٥].

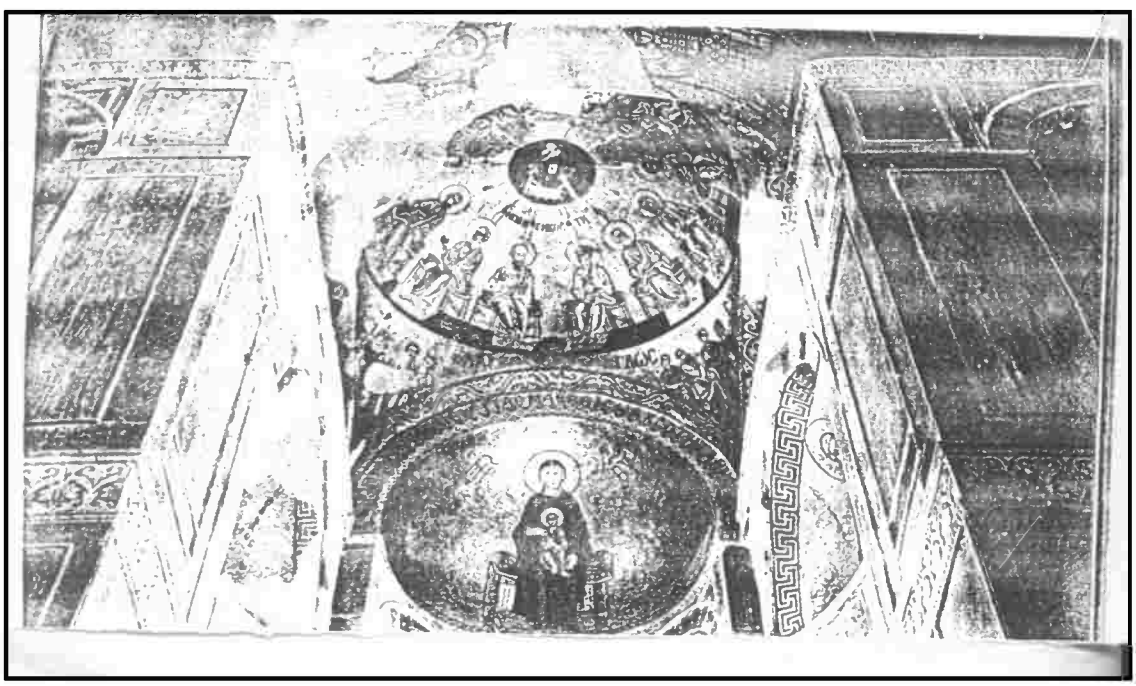

وكانت الأفكار التي تحكم هذا النظام من الزخرفة والطريقة التي يجب أن ترتب به المشاهد والشخصيات قد حصلت على الموافقة الرسمية للكنيسة، ولم يكن يسمح للرسام أن يحيد عنها، وقد صيغت

(795) Talbot, Art, pp88-90.

بالفعل مجموعة من القواعد سلمت شفهيا، وأخيراً صيغت كتابيا متخذة شكل ما يعرف بدليل الرسامين Painters Guide وهو نوع من الكتيبات تذكر تفصيلا وبالضبط كيف ينبغي أن تزخرف الكنيسة وكيف ينبغي أن يرسم كل مشهد(٧٩٦).

وإلى جانب زخرفة الكنائس وجدت ورش بالقصر الإمبراطوري لزخرفة المعادن، وارتبط اسم الإمبراطور قسطنطين السابع نفسه بأحد أروع الكنوز الفخمة وهو وعاء الذخائر المقدسة والموجود في ألمانيا وتم الاحتفاظ به في القصر الكبير وأتي به إلي الغرب كجزء من الذخائر التي تم جمعها في الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م/٦٠١هـ (٧٩٧).

(796) Talbot, Art pp. 88 –89
(797) Talbot, Art p.110

ونفس الشيء ينطبق على العدد الهائل من كؤوس وأطباق القربان المقدس وأغلفة الإنجيل وأوعية الذخائر الدينية في نفس الخزانة بعض منها يحدد تاريخه من خلال النقوش وبعضها يحمل أسماء الأباطرة وبعضها يمكن تحديد تاريخه فقط على أساس الأسلوب ومنها:

الوعاء المطلي بالفضة المزخرف بالمجوهرات والمينا التي يفصل بين ألوان نقشها شرائط معدنية، وهو يمثل أروع عمل فني في القرن الحادي عشر/ الخامس الهجري أغلبية هذه الأعمال الفخمة الرائعة محفوظة في خزانة كنيسة القديس مرقص St, Mark في البندقية(٧٩٨).

وعاء مطلي بالفضة محفوظ في كنيسة القديس مرقص

وإلى جانب زخرفة المعادن عنى البيزنطيون بزخرفة المنسوجات التي كانت ترسل أحيانا كهدايا عبر البحار واحتفظ بالقليل منه في أضرحة القديسين والملوك والأساقفة في الغرب، حيث قدم الإمبراطور آوتو الثالث Otto III حريرا جميلا مزخرفا بأفيال يرجع تاريخه إلى عام ١٠٠٠ م/ ٣٩١ هـ في ذلك العام إلى ضريح شارلمانCharleman وهو يجعل نقشاً يذكر أنه تم صنعه عندما كان بطرس Peterرئيسا للزيوكسبس Zeuxippus(جزء من القصر الكبير يتم فيه نسج الحرير الرائع)، موضحاً بذلك أنه هناك ولكن

(798) Talbot, Art pp. 110 – 115.

بدون ذكر التاريخ [٧٩٩].

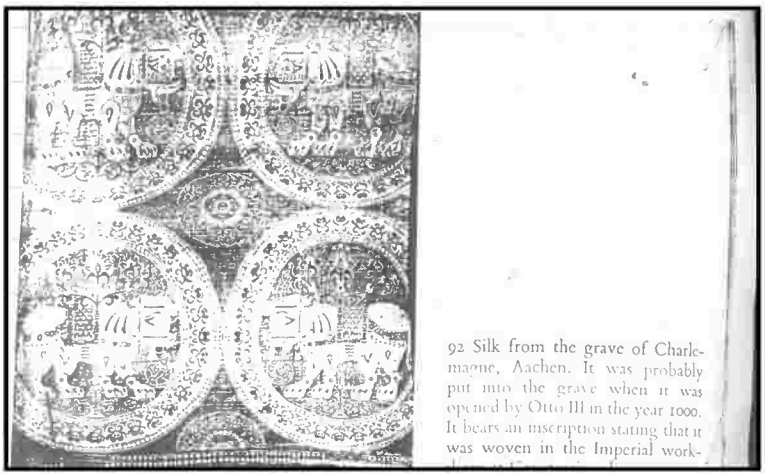

92 Silk from the grave of Charlemagne, Aachen. It was probably put into the grave when it was opened by Otto III in the year 1000. It bears an inscription stating that it was woven in the Imperial work-

وهناك حرائر لها نفس الجودة في خزائن أخرى مثل التي تسمي خرائن ضريح القديس جيرمان L,Auxerrios shroud of St Germain والموجودة في اكسير Auxerre لعلها هي أفضلهم على الإطلاق حيث يبلغ طولها ١٧٠ سم والذهب الخفيف الذي يلون التصميم على أرضية من اللون الأرجواني له تأثير خاص ويعد أفضل التحف الحريرية البيزنطية المتبقية[٨٠٠].

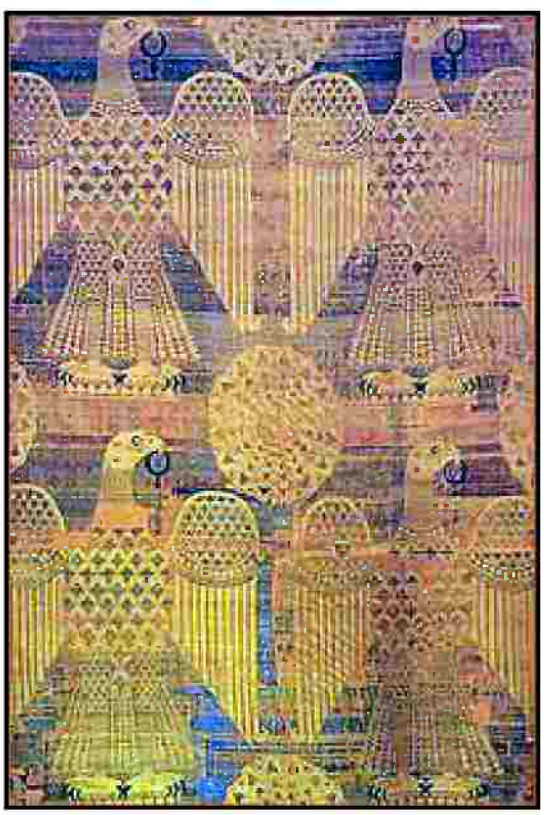

(799) Talbot, Art pp. 105-107.
(800) Talbot, Art pp. 105-107.

حرائر من ضريح القديس جيرمان في اوكسير، محفوظة الان في كنيسة يوسيبوس

النحت:

لدينا نحت لمجموعة من التوابيت العاج صنعت في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين/ الرابع والخامس الهجريين أهمها تابوت فيرولي veroly في متحف فيكتوريا والبرت Albertيحمل على غطاءه وجانبيه مشاهد من أسطورة كلاسيكية منحوته ببروز عالية، ومع ذلك فالموضوعات مشوهة إلى حد ما [٨٠١].

تابوت فيرولي في متحف فيكتوريا والبرت

ولفائف يوشع The Joshua Roll توجد في الفاتيكانVatican والأخرى في قصر فينسيا في روما واللتان تصوران المسيح بين العذراء ويوحنا والمعمدان وهناك واحدة أخرى في المتحف البريطاني لابد من أنها جميعا نحتت في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري[٨٠٢].

(801) Talbot, Art pp. 110 – 115.
(802) Talbot, Art, pp86-87

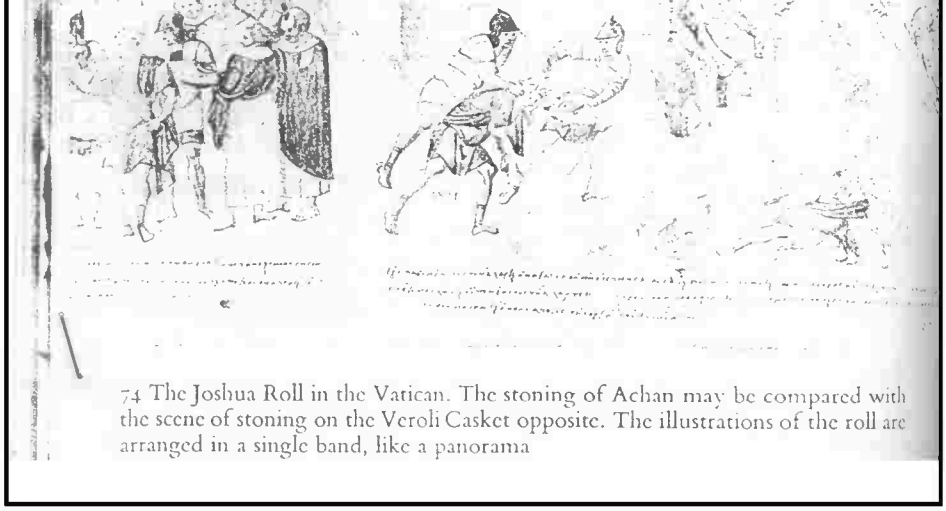

74 The Joshua Roll in the Vatican. The stoning of Achan may be compared with the scene of stoning on the Veroli Casket opposite. The illustrations of the roll are arranged in a single band, like a panorama

هناك سلسلة كاملة من عاجيات أخرى مثل تلك الموجودة في غرفة الأوسمة بباريس Cabinet des medailles تبين تتويج المسيح للإمبراطور رومانوس الثانيRomanosII والإمبراطورة أودوكسيا Eudoxia ٩٤٥ هـ/ ٣٣٤ هـ.[٨٠٣]

(803) Tabot, Art, p87

تتويج المسيح الإمبراطور رومانوس الثاني والأمبراطورة اودكسيا

والتي تعتبر تحفة فنية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الفن فهي تمثل أداء مدرسة البلاط الملكي Court school في أوج تفوقها الفني حيث كانت الأناقة والتوازن في التصميم أهم سماتها.

وأخرى باسم نقفور فوقاس في كورتونا Cortona وهي مختلفة عن العمل السابق حيث الوجوة أكثر امتلاء والعمل أقل ذوقا (٨٠٤)

وفي كنيسة باسل الأول يسيطر التمثال النصفي للمسيح البانتو كراتور Pantoctarالمبني على القبة مثلما يسيطر الرب على العالم في رسم كوني لكوسماس Cosmas (٨٠٥).

(804) Talbot art pp. 85 – 87.
(805) Talbot, Art pp. 88-89

رسم كوني ل كوسماس

وهناك تماثيل نصفية للقديسين محفوظة الآن في بودايست ارتبطت باسم الإمبراطور قسطنطين التاسع [٨٠٦].

فن الرسم والتصوير:

بعد انتهاء العصر اللايقوني الذي كان معاديا ومناهضاً للصور والأيقونات نجد أن فن التصوير بعث بعثا جديدا في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري خاصة في زخرفة المخطوطات [٨٠٧].

ورسمت مخطوطات بها العديد من الصفحات منها مخطوطة مواعظ القديس جريحوري النازيانزي Gregory NazianzuS بالمكتبة الوطنية تحتوي على زخارف دينية والتي تظهر في صفحتين من صفحاتها رؤية حزقيال قد تكون مثالا لذلك حيث أن المبني بصحبه ملاك مما يعتبر عظه كلاسيكية ولكن العديد من الصفحات الأخرى تحمل رسوما توضيحية ذات طابع قصصي أساسا يغيب فيه الميل الكلاسيكي نحو الرمزية والتجريد فهي تسرد القصة بطريقة مباشرة، وهناك أحيانا مجموعتين وحتى ثلاث في الصفحة الواحدة تحتوي كل واحدة على مشهد أو أكثر من مشهد [٨٠٨].

---

(806) Talbot, Art p. 103.

(807) Krumbacher, the History of Byzantine lLiterature p. 12.

اومان، الأمبراطورية البيزطية، ص ١٧٥

(808) Talbot, Art pp. 79- 82.

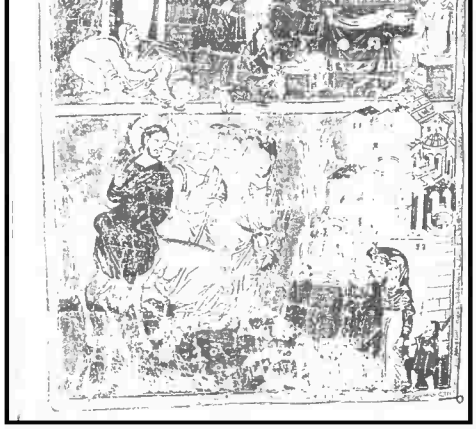

صفحة من خطب جريجوري نازيانزي

وهناك مخطوطة أخرى ظهرت في عهد باسل الثاني تسمي المينولوجيام Menologium أرخت ما بين عامي ٩٧٦م/ ٣٦٦ هـ وعام ١٠٢٥ م/ ٤١٦ هـ وقد تم تغيير اسم هذه المخطوطة وأصبح الاسم الحالي لها هو سينا كسريم synaxarium وتشتمل على ملاحظات موضحة وصفحة واحدة عن القديسين ومذكراتهم وأعيادهم الكبرى في كل يوم من الأشهر الستة الأولى في بداية السنة الكنائسية من أول سبتمبر إلى نهاية فبراير وقد وجد حوالى أربعمائة نسخة مطبوعة وثلاثون نسخة مصغرة وأربعة عشر نسخة ينقصها النص المرفق وكلاهما بهما النص والعنوان، أما النسخ الموضحة فقد تم تنفيذها أولاً أما كل النسخ المصغرة فقد كانت مزودة في هامش النسخة أو الطبعة أو التي كانت لها أهمية كبيرة وكانت الملازم مزودة باسم الناسخ ووجدت بها ثمانية أسماء مختلفة مصاحبة للنسخ مرتبة في الظهور كتالي بانتاليون Pantolene (تسع وسبعون مرة) ميخائيل بلاشيرني Michael Blacherne واحد وستون مرة وجورج George (خمس وأربعون مرة) سيمون (اثنان وثلاثون مرة) ميخائيل الأصغر (سبع وستون مرة) ميناس (سبع وعشرون مرة) نسطور Nestor (واحد وسبعون مرة) وسيمون بلاشيرني Symeon of Blachernae (ثماني واربعون مرة)وفي كل الأحوال باستثناء واحدة كانت كلمة (بواسطة الرسام فلان) تسبق الاسم متي كان يظهر ولأول مرة[٨٠٩] وكانت مخطوطة المينولوجيام تتكون من ثماني وعشرين فصلاً أو نسخة مرقمة يسبقها صفحة واحدة غير مرقمه وطبقا لترقيم الصفحات الحالية بداية بالنسخة المصغرة الأولى فإن أول ثلاث صفحات من الورق مسبوقة برزم أو نسخ مرقمة والتي قد تم تحديثها A,B.C. واسم الرسام يكون موجوداً أعلى هامش النسخة المصغرة برموز لكل اسم وهي حرف أ يرمز للرسام بانتليون و حرف A B يرمز لميخائيل الرسام وحرف G يرمز لجورج وحرف D يرمز لسيمون وحرف mm يرمز لميخائيل الأصغر وحرف ms يرمز لميناس وحرف N يرمز لنستور وحرف SB يرمز لسيمون بلاشرني وعندما ما تذكر كلمة بواسطة الرسام فيكتب الرمز بدلاً من الاسم[٨١٠].

(809) Sevcenko, I, The illuminators of the Menologiun of Basil II DOP, Washington 1962. pp 245-276. vol XI p.245.

(810) Sevcenko, The Illumination of the Menologium, p.249.

وبفحص مخطوطة المينولوجيام نجد العديد من السمات النظامية الفرعية داخل المينولوجيام وأيضا داخل النسخ المصغرة للمخطوطة، فنجد أيضا أن هذه السمات قد تكون مرتبطة ببعض الأسماء الخاصة مثل بانتليون وجورج وقد استطاع بانتليون أن يوضح وجود أولوية أو تمييز ملحوظ للزهور المتخذة في شكلها اللون الأحمر والأرزق، واللون الأبيض من الداخل وهذه الزهور قد تكون متواجدة في قلب النبات كما قام أيضا بانيليون برسم أزهار حمراء وزرقاء مستديرة الشكل وأغلبها بثلاثة نقاط بيضاء وزخرفها ليكونوا فروعا أو جذورا ذهبية أكثر جمالا وقام جورج بوضع مجموعة من الزهور الحمراء، المستديرة الشكل في مراكز أو قلوب النباتات، واحتوت النسخ المصغرة لبانتليون على الكثير من الأوثان أو الألهة على الحوائط والخلفيات المعمارية أكثر بكثير من النسخ المصغرة لكل الرسامين الآخرين(٨١١).

وإلى جانب زخرفة المخطوطات حاول الفنانون البيزنطيون رسم المشاهد المعبرة عن الحزن، والتي منها لوحة مصغرة ترجع إلى القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري في سفر المزامير في المتحف التاريخي في موسكو Moscw توضح لنا اثنتين يسميان ماري يجلسان بجانب القبر يضعن أيديهن على خدودهن(٨١٢).

وتظهر أيضا مشاهد الحزن في مخطوطه جريجوري في باريس يعرض فيها الرسام لقصة يونس (سيدنا يونس بن متي نبي الله) ملك نينوي Nineveh يمزق عباءته من صدره بينما خلفه يبكي مسئول يرفع عباءته إلى وجهه بالإضافة إلى تصوير جصي (لوحة جدارية) من القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري في الكنيسة القديمة في توكالي كيليس Tokali Killse تصور بوضوح مشهد جذب الشعر للتعبير عن الحزن(٨١٣) وصورة مصغرة للقرن العاشر الميلادي توضح وجود سيدة بجانب القبر والصورة محفوظة في المكتبة العامة في لينجراد Leningrad (٨١٤) وهناك صفحة كاملة مصغرة في القرن العاشر الميلادي في الفاتيكان توضح رجلا جلس على كومة روث، ركبته السليمة تستند على ركبته المرفوعة يستند ذقنه إلى يده اليمنى(٨١٥).

---

(811) Sevcenko, I The illuminators of the Menologiun of Basil II, p.26.

(812) Maguire, H. The Depiction of sorrow in middle Byzantine Art in DOP, vol, 31, 1997, pp 123-174, p.134

(813) Maguire, The Depiction of Sorrow, p.131.

(814) Maguire, The Depiction of Sorrow, p.134.

والصورة محفوظة تحت رقم (Fg-81) folio 8V، 21، ms

(815) Maguire, The Depiction of sorrow, 137
Leo Bible in the votican Regin, 9r, I, folio 46 IV(fig, 24).

وهناك مخطوطة في الفاتيكان توضح رجلا عجوزا يشد في شعره[٨١٦] وهناك صورة من التصوير الجصي تعود للقرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري تمثل القديسة ثيودور السالونيكية توجد في كنيسة آيا صوفيا[٨١٧]

والحقيقة أن الفنان البيزنطي زين جدران الكنائس بنقوش وزخارف غاية في الروعة. أو اهتم بتزيين المخطوطات وتصوير الحزن في رسمه وبالإضافة إلى الفنون المرئية كان للبيزنطيين إسهامات في علم الموسيقى.

الموسيقى *The Music*

هناك صلة قريبة بين الأنغام البيزنطية والكنسية، وقد تغيرت الموسيقى الكنيسة أو موسيقى احتفالات القداس بيزنطة إلى حد كبير من القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الميلادي/ الأول إلى السادس الهجري وأصبحت معقدة جدا فكانت هناك العديد من الأنغام والترانيم التي تنشد في الكنائس ومن أبرز الأمثلة على ذلك ترنيمة Ote التي أنشدت يوم الجمعة العظيمة أثناء عبادة الصليبAdoration of the Cross وتعبر عن شكوى السيد المسيح من اليهود الذين صلبوه، والشاعر في هذه الترنيمة يلعب دور الراوي الذي يؤدي صوت السيد المسيح وهو يكيل الاتهامات على اليهود وبينهم بالجحود[٨١٨].

وكان للإمبراطور ليو السادس أحد عشر ترنيمة صاحية اعتمدت على قصة قيامة السيد المسيح لا زالت نسختان موسيقيتان منهما موجودتان تحفظان نصوص ليو الأصلية، والعديد من المقطوعات الموسيقية وجدت تحت اسم ليو في الكتب الدينية وتوضح المقطوعات السابقة صلوات السيد المسيح العديدة[٨١٩].

ومن الجدير بالذكر أن ما وصل إلينا فقط من الموسيقى الدينية موسيقى القداس، وهذه الموسيقى يجب أن تعالج كجزء من القداس، وهناك ثلاثة أنواع مختلفة من الأناشيد في القداس البيزنطي.

المجموعة الأولى تشمل الأناشيد المقطعية التي فيها كل المقاطع الشعرية للقصيدة لها نفس الموضوع وتغني بمقدار المقطع الشعري الأول، وهذا النوع مستعمل في تسع قصائدKanons.

---

(816) Maguire, The Depiction of sorrow, p, 129.
(817) life of Theodora of Thessalonike, p.162.
(818)Wellesz ,E.Byzantine Music and its Place in the liturgy, in proceeding of the Musical Assod,1932,pp1-22,p14.
(819) Leo VI, The Homilies,pp19-20.

المجموعة الثانية تشمل الأناشيد التي تحتوي على ملاحظات أو تذكرة.

المجموعة الثالثة: تشمل أناشيد القداسات.

وقد عرف المرتلون بصفة خاصة في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري كتب الموسيقي، وحفظوها عن ظهر قلب(٨٢٠).

وكان المرتلون يتكونون من الرهبان أو راهبات الكورس وفقا لتيبكون الأديرة الذكورية والأنثوية على السواء، كانوا ينقسمون إلى مجموعتين: الأولى: هم رهبان و راهبات الكنيسة ممن يعرفون القراءة والكتابة وكان يقع على عاتقهم أداء الطقوس الدينية اليومية والموسمية بما تضمنته من قراءة للمزامير، وإنشاء التراتيل، أما المجموعة الثانية: فهم رهبان وراهبات الكنيسة من الأميين والأميات، وكان فريق الكورس مقسما إلى نصفين يمين ويسار، وكل فريق كان يغني نصف التراتيل بالتبادل ثم يتبعه فترة سكون وصمت ربما لإراحة أصواتهم أو للتأمل فيما يرددوه (٨٢١).

و على الرغم من أن سنواتهم كانت مليئة بمهرجانات عيد الميلاد، واحتفالات استقبال أسرى الحرب بركة العنب وغيرها، إلا أن كل هذه الموسيقى لم يبق منها إلا المقاطع الدينية (٨٢٢).

الموسيقى العلمانية:

قد احتلت جزء كبير من الحياة اليومية، ولكن لم يبق شيء من هذه الموسيقى لأن رق الكتابة الذي كتبت عليه الموسيقى كان غالي الثمن (٨٢٣).

وأخيراً فإن الفن البيزنطي قد وصل قمته في العصر المقدوني حيث بنيت العديد من الأبنية وفي الفن التحم التراث الكلاسيكي مع التراث الشرقي، وابتكرت العديد من زخارف الفسيفساء العظيمة وكان هناك أخرى أقل روعة بقليل، وفي الرسم تم زخرفة الكتب بشكل ممتاز، وتم نقش عاجيات غاية في التمييز وأن بدأ في الهبوط التدريجي بسبب ضعف بعض أباطرة العصر المقدوني، واستبداد البعض الآخر وإسراف البعض في تقديم الأموال لإنعاش الثقافة وتنمية المواهب(٨٢٤).

---

(820) Wellesz , Byzantine Music,pp15-17.

(٨٢١) سعاد عبد الحميد، التنظيمات الديرية، ص ٢٠٩.

(822) Wellesze, Byzantine music, p.19.

(823) Wellesze, Byzantine music, p.15.

(824) Talbot, Art, pp. 103 – 104, Stephen.B, Tracing architecture the aesthetics of antiquarianism, wiley Black well, 2003, p123.

وبذلك نجد أن بيزنطة في العصر المقدوني اتسمت بازدهار العلوم والفنون والآداب الأمر الذي جعل المؤرخين يطلقون على هذا العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية وهو وصف استحقته عن جدارة.

وتجلت المظاهر الثقافية واضحة وتمثلت في ازدهار التعليم وتعدد مراكزه.